

الموسوعة القبطية الشاملة

٣

دراسات روحية بأشراف
نيافة الحبر الجليل
الأنبا متاؤس
اسقف ورئيس
دير السريان العامر

العثرة والقدوة الصالحة من منظور مسيحى

بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة



طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٩٩٩ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى I.S B.N. 977 - 0401 - 7



صاحب القداسة
الأنبا شنوده الثالث بابا الإسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية

العثـــرة والقـــــدوة

مقدمـــــــــــة *

العقيدة المسيحية هي النَموذج الكامل (الذي لا قَبله ولا بَعده) للتعاليم الإلهية العظيمة السامية، التي وضَعت الأسس السليمة، للعلاقة بين اللّه والناس، وبينهم وبين غيرهم من البَشر، لَيسير الجميع علي هديّها ، فتنمو الأسَر، وتَسمو الأخلاق، وتتقدّم المُجتمعات، ويحل السلام في البيت، وفي كل مكان، وتزداد الروابط بين الناس. ويَعُم الخير والبركة في العَالَم، طالما تَبعوا تعاليم المسيح، بحُب ورَغبة صادقة، وقد أوجز المُعلّم العظيم تعاليّمه السامية فى «**العظة علي الجبل**» (مت ٥ ـ ٧) وقدّمها للناس لتنفيذهابحب أي دون فرض أو جَبر وإلزام!

فما أسعد النَفس التي تُنفذّها ، حُباً للّه ذاته وللخير والفضيلة، لا خوفاً من عقاب، ولا طمعاً في ثَواب.

وقبل أن يدعونا المُخلص إلي تنفيذ تعاليمه الجميلة نفذّها ومارسها بذاته، أمام العالَم، ليكون نموذجاً يُحتَذي، ضارباً لنا المثل العَملي – كمُعلّم صالح - لنتبع إثر خطواته، في البَذل والتضحية، والطاعة والوداعة، والمحبة العَملية، وفي سلوك طريق الإستقامة والأعمال الصالحة. فانطبقت أقواله علي أعماله، فاتّبع مُحبيه مثاله الجميل وسعدوا بقدوته.

وهكذا انطَبقت هذه الصورة الجميلة، علي مَن حَملوا إسمه، من التلاميذ والرُسل والآباء القديسين. وتناقلتها الأجيال، دون أن تُدوّن علي أوراق، وإنما نُقشَت علي صفائح القلوب المُحبّة للمسيح.

ومن ثم إنتقلت حقائق الإيمان المسيحي، وتعاليم السماء العظيمة إلى الوثنيين (من بعد اليهود)، عن طريق القُدوة والسيرة الطيبة، والأسوّة الحَسنة، للمؤمنين بالمصلوب، الذين قدّموا صُورة رائعة «لإيمانهم العَملي» بأعمالهم التي تُمجّد الله،

وبأقوالهم المُتضَعة، التي كانت سبباً في دَفع الملايين لحب يسوع، في سنوات قليلة وفي ٣٠ عام انتشر الأيمان في كل العالم.

وكان القدّيسُون من الشُهداء والمُعترفين والرُهبان والسُواح والنُسَّاك والعلمانيين الأوفياء، نماذجاً عظيمة، في كل جيل، للتنفيذ العملي لمباديء المسيح، وإثارة الإلتهاب في قلوب الشباب، لعشق الروحانية، وأصبحت سيرهم وقصصهم مَصدر إلهام لكثيرين من البعيدين والقريبين، لتسليم الحياة للّه، وحياة البتولية، لأنهم نَفذّوا تعاليم المسيحية نَصاً وروُحاً، فأصبحوا سُفراء للمسيح، وأناجيل حية مَقرؤه من جميع الناس، وسبب بركة لكل من يسمع سِيرهم العَطرة،أو يتطلع إلي أيقونَاتهم المُعبرة.

وإذا كانت الحياة الدُنيا مَليئة **بالعثرات المتنوعة**، من مصادر كثيرة، ولابُد أنها كذلك، كقول الرب (مت ١٨:٦)، فليس بَغريب أن نَجد بعض الأمثلة الشَاذة التي تحمل إسم المسيح في شهادة الميلاد **فقط**، وهي للأسف، في كل زمان ومكان، تتبع تعاليم الشيطان، وتنحرف عن طريق الخلاص، وتهلك جَهلاً أو عمداً.

وكان ذلك مَدّعاة للإهتمام بهذا الموضوع الحَيوي، لتوضيح

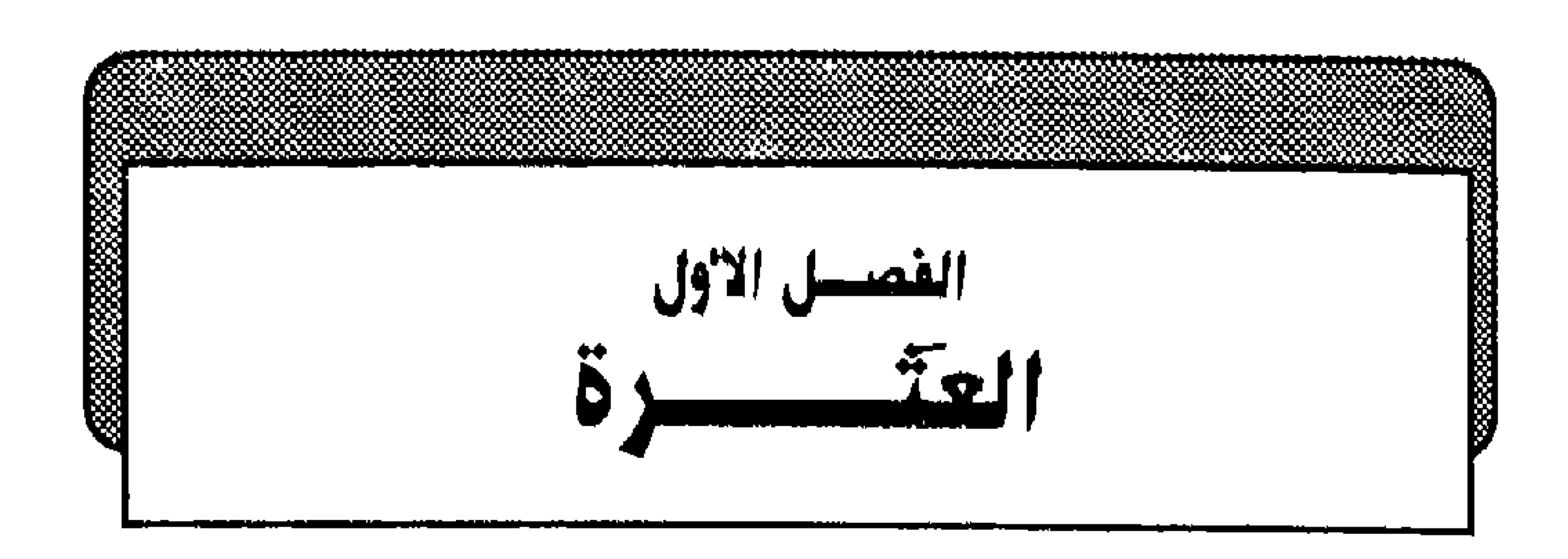
خطورة العثرة، ونتائجها السَلبية، والكشف عن أسبابها الحقيقية، ليُمكن تجنبَها، والإبتعاد عن أخطارها.

كما تدعُو الحاجة إلي دراسة موضوع «**القدوة الصالحة**» ومجالاتها المُتنوعَة، ونتائج السلوك الإيجابي للمؤمنين، لتكوين صُورة كاملة كمرآة صادقة، يتطلع إليها كل من يُريد سلوك طريق السماء، وتحقيق هَدف اللّه فينا، لنكون نوراً للعَالَم، وملحاً جيداً للأرض،

ونطلب من الرَب المُحب أن يجعل هذه السطور، سبب بَركة لكل من يقرأها ويعيها ويعَمل بها. بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة، ونيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس أسقف دير السريان العامر.

الخادم

الدياكون ميخائيل مكسي اسكندر



الفصـــل الأول
العثـــــرة

المقصود بالعثرة:

للفِعل «يتعثر» Stumble مَعنيـان، احدهما حرّفي، ويعـني الإصطدام بشيء ما في الطريق (حَجر عَثـرة)، فيـسقط بسببه الإنسان علي الأرض، والمعني الثاني رَمزي رُوحي: أي «يزل» (يَقع في الخَطية). وعلي ذلك فالعَثرة هي ما يجعل الانسان يَكبو ويزل أو يسقُط في الشرّ (٥:٢٩، ١٨:٧)، والفعل «اعثر» أي كان سَبباً في سقوط غَيره في الخطية.

أو الفعل «تعثر» فيعني سقوط الإنسان في الشرّ، عن طريق

تقليد الغير، أو مُجاراتهم في سلوكهم الفاسد أو بإيعاز من الأشرار مثل «مَشورة أخيتُوفل» أو بطريق غير مُباشر (كوسائل الإعلام والمُوضات الخَليعة)، فيسقُط بسببها الأبرياء، أو الجُهلاء بتعاليم الدين. ويَوضحها قداسة البابا شنوده الثالث بأكثر جَلاء بقوله: «العثرة هي السَقطة. والذي يعثر غيره، **هو الذي يتسبب في سقوط غيره، بالفعل أو بالفكر**».

ونجد هذه المعاني جميعها في شواهد كتابية كثيرة منها: **حسب المعني الأول**، ما ورَد في شريعة موسي «ويُعْثَر بعضهم ببعض، كما من أمام السَيف وليس طَارد» (لاويين ٢٦: ٣٧). وقال النبي دانيال: «**يَعثرون بالسَيف**» (دا ١١: ٣٣). وقال ناحُوم النبي «يتعثرونَ في مَشيهم» (تا ٢: ٥). أي من عثرات الطريق وقال أشعياء النبي «الغُلمان يَعيُون ويَتعَبون، والفِتيان يتَعثرون تَعثراً» (إش ٤٠: ٣٠)

وعن الزَلة في الخَطية - عن طريق الآخرين - يَسقط الأشرار،

ويدفَعـون غـيرهم مَعـهم، في شَرهم الواضح إذ يقـول داود النبي «مضايقي واعدائي عثروا وسقطوا» (مز ٢٧ : ٢). وقال أيضاً: «تفكروا في تعثير خطواتي» (مز ١٤٠ : ٤) وقال أرميا النبي: «الإشرار يَعثرون بالشر (إر ٢٤ : ١٦) وقال إيضاً «يَعثُر البَاغي (الظالم) ويَسقط ولا يكون لـه من يُقيمـه» (إر ٥٠ : ٣٢). وتحدَّث هُوشع النبي عن سَقطة جَماعية للشَعب اليهودي «يَتعَثر إسرائيل وإفرايم في إثمهما، ويتعثُر يَهوذا أيضاً معهم (هو ٥ : ٥)!

✠ ✠ ✠

خُطـــورة العثرة:

قال يسوع له المجد: «ويل للعالم من العثرات»!! فلابُد أن تأتي العَثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة! ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار، (البُسطاء) المؤمنين بي، فخَير له أن يُعلَّق في عُنقه حَجر الرَّحي ويُغرَّق في لَجَّة البَحر» (مت ١٨ : ٦ - ٧)!

أي أنه يَهلك بنفسه، ولا يَهلك كثيرون بسَببه. وكَرر القديس لوقا البَشير تأكيد الرَب، علي أن العَثرات حقيقة واقعة. ونَبَّه الوَحي الإلهي إلي ضرورة الحَذر من التَردّي - بسببها - في الخطية، بقوله تعالي «إحترزوا لأنفسكم» (لو ١٧: ١ - ٣) أي نحرِصَ أشد الحرص علي تجَنب أسباب العَثرات، التي سيأتي ذكرها بعد قليل.

وقد نهي اللّه الإنسان عن تعثير غيره «قُدَّام الأعمي لا تَجعل مَعثرة» (لا ١٩: ١٤) "لا يُوضَع للأخ مَصدَمة أو مَعثرة» (رو ١٤: ١٣). لأن في ذلك خَطيئة مَضاعفة «زلّته هو وسَقطة أخيه بسببه» وصلّي داود النبي قائلاً «نجني من الدماء يا اللّه إله خلاصي» (مز ٥٠) وهَرب القديس أرسانيوس من البربر لئلا يقتله أحدهم فيذهب بسببه إلي الهلاك!!

وقال أحد المُفسّرين: «إن الذي يُطوّق عُنقَه بحَجر رحَي، يَطرح نفسَه في البحر، قد يختفي تأثيره الردَيء معه، لكن الذي يُعثر الآخرين، يكون كَمن يُطلق أسداً، في قلب مدينة مُزدحمة، ولا

يعلم إلا اللَّه وحدَه كم عدد الذين يفترسهم هذا الحيوان المُتوحش. إن الذي يغـرق في البحر يُهلك جسدَه وحدَه، ولكن الذي يُعثر الآخرين، يقتل نفسَه ويقتل آخرين معه». وأكثر الناس تأثراً هم الأحداث الصغار، وحديثو الإيمان (مز ٩:٤٢) أو ذوو الثقافة الرُوحية المحدُودة.

ويقول الرسول يَعقوب: «مَن حفِظ كل الناموس (وصايا الشريعة) **وإنما عثر** (سَقط) **في واحدة فقط فقد صار مجرماً** في الكُل» (يع ٢ : ١٠).

وتبدو خطورة العَثرة أيضاً في أن الرب **يضع المُعثرين قبل الاشرار الفعليين**، في الطَرح في جُهنم، فيقول السيد له المجد «يُرسل إبن الإنسان ملائكته فيجمَعُون (من العالم) **جميع المَعاثر وفاعلي الإثم**. ويطرحُونهم في أتون النار. حينئذ يُضيء الأبرار كالشمس في مَلكوت أبيهم».

وقال المُرنم: «أما الذين يَميلون إلي العثرات، ينزعهم الرب مع فاعِلي الإثم» (مز ١٢٥:٥).

ولهذا ينبغي للإنسان أن يندم كقول سليمان الحكيم بشدة «إذا عثر أحداً، لا يَبتهج قلبك إذا عثَر» (أم ٢٤:١٧). وبالتالي لا يتحدَّث عن مُعثراتِه أمام الآخرين.

ولا شك أن التوبة هي الوسيلة المُجدية للقِيام من تلك العَثرة، ولا يتعثر التائب بأحجار الخطية مرة أخري، بل يَستند علي وعَد الله القائل: «بالبكاء يأتون، وبالتضرُعات أقودهم، أسيرّهم في طريق مستقيمة لا يَعثرون فيها» (إر ٣١:٩)، ولا يظل الإنسان ساقطاً مُسبباً المزَيد من العَثرات إلي كل من حَوله، بل ينبغي أن يقوم حالاً. ويبدأ السَير - من جديد - في طريق الأبدية، وليكُن لسان حاله، قول ميخا النبي: «لا تشمتىَ بي يا عَدوّتي (الخَطية) إذاسَقطت أقوم» (مي ٧:٨).

وقال الرب يسوع «إن كان أحد يَمشي في النهار لا يعثُر، لأنه يَنظر نُور العالم، ولكن إن كان أحد يَمشي في الليل (في الشَر) يَعثر، لأن النُور (الإلهي) ليس فيه» (يو ١١: ٩ - ١٠)

إذن فالحَاجة مُلحّة إلي «تَقديس الحياة لله»، قبل المَوت،

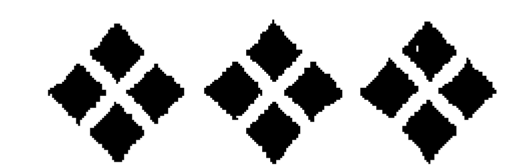
كقول أرميا النبي «إعطوا الرب إلهكَم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً، وقبلما تَعثر أرجلكم علي جبال العَتمة، فتنظرون نوراً فيجعله ظِل موتٍ، ويجعله ظلاماً دامساً» (أر ٣:١٦).

ويقول القديس موسي الأسود: «الذين يريدون أن يقتنوا الصَلاح، وفيهم خوف الله، فإنهم إذا أعَثرتهم يكون في نشاطٍ وإهتمامٍ أكثر بالأعمال الصّالحة».

ومن الجدير بالذكر أن السقطة قد تكون أحياناً «بسَماح من الله» لتعليم الإنسان فَضيلة ما، (دَرس روحي)، كالإتضاع مثلاً، فيشعُر المَرء بضَعفِه، وحاجته إلي معونة الله الدائمة، وعدم الإتكال علي برّه الذّاتي، وهذا الرأي يؤكده قول الكتاب «بعض الفاهمين (أو الصّالحين) يَعثرُون إمتحاناً لهم» (دا ١١:٣٥).

وكم من كَبوة أو زلة أعقبها قيام، وجهاد جديدٌ وحرارة للروح، بعد تضميد جروح النَفس، ويُقابلها نجاح أكيد في الحياة العَملية أو الروحية. وسيَر القديسين - في الكتاب، وفي التاريخ

الكنسي- مليئة بالأمثلة الكثيرة عن العَثرة التي تنتهي بالتوبة، والجهاد مع النعمة، ثم السلوك في طريق القُدوة.



أنــــواع العثرات:

يَذكُر قداسة البابا شنوده الثالث أن ثمة عثرات **«داخلية»** أي من داخل الإنسان نفسه (عن طريق حواسه كما سنري) وعثرات **«خارجية»** (عن طريق الشيطان... الخ) كما أن هناك نوعان آخران هما: **«عثرات مقصودة»** (أو واضحة)، و **«عثرات غير مقصودة»** فهناك عثرات واضحة للعَيان، مثل إفطار الخُدّام في وقت مُبكر أثناء الأصوام، وعثرات الأمور الشبابية، (والنَرفزة). وإنتهار الأطفال بقَسوة (كلمات جارحة)، شِجار الوَالدين، أو كلامهم في الأمور التي لا تَليق، أو طلاقهما، أو عدم ذهابهما للكنيسة، أو عدم تناولهما من الأسرار المُقدسة أو كلامهما بصوت عَالٍ، وخاصة أثناء إمتحانات الأبناء، أو بما يُضايق الجيران، وزيارات الضيوف، وثرثرتهم أثناء الإمتحانات.... الخ.

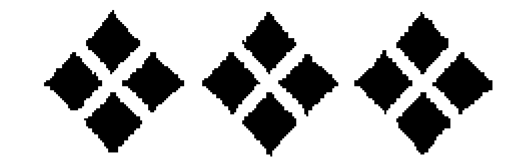
ويُضيف قداستُه أمثلة أخري «كعدم المِثالية»، بصفة عامة. كتَصورّ التلميذ في مُعلمه المِثاليـة أو تكون الأسرة عَثرة لغير المتزوجين. والتطرُّف في الأمور الدينية له عثراته.

ومن مظاهر التَديّن الغير سليم، الظَن بأن البُكاء علي الخطايا (للتوبة) يَعني «العبوس» دائماً، أو الكآبة أمام الناس، وكذلك عَثرات المُشرفين الروحيين أو الإرشاد الروحي الغَير سليم، الذي يُوقِف النمو للمَخدومين، أو خصَام الكهنة في الكنيسة الواحدة... الخ.

وهناك عثرات أخري «غير مقصودة» كعثَرة الصليب (١ كو ١: ٢٣) فقد تَعثَّر اليهود من الصليب، بسبب عدم فهمهم للخلاص، وعثرة الأعمال التي تتم بنيَّة سَليمة، والتي قد تُفهم خَطأ، كأن تذهب لفك نقود من محل بيع السجائر (أو خمارة) ويُفاجأ البعض بوجودك بها فيتَعثّر منها»

ولهذا يُقدّم قداسته النَصيحة قائلاً: «ولهذا ينبغي أن تكون مُدققاً... ليس فقط أن لا تَعمل الخطأ، بل حتي الأشياء السليمة التي تُفهم خَطأ، إبعد عنها. كُن بلا عَثرة بسبب إنحراف أو تُطرف

أو نقص في المثالية، بالنسبة لمن يتوقّعون منك المثالية». **وفيما يلي تفصيل لأسباب العثرات المختلفة، لدراستها وتجنب السقوط بسببها:-**



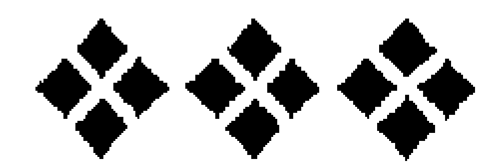
أسبـــاب العثرة:

ا) عثرات عن طريق الحَواس الخمس:

الحَواس - كمنَافذ للخطيّة لدَاخل القلب - تُعَّد سَبباً رئيسياً لعثرَة الإنسان (مت ١٨: ٨ ـ ٩). سواء عن طريق النظر أو اللّمس أو اللسان أو السَمع أو الشَم. ويري القديسون في تفسير الآية «أعداء الانسان أهل بيته» (ميخا ٧:٦) أنها تُشير رَمزياً الي حواسه الخَمس التي تُدخل الخطية إلي داخل عقله وقلبه، فتُعثره الأفكار وتُسقطه في الشَر، كما حدث مثلاً لداود النبي، عندما نظر - في لحظة ضَعف - وسقط في الخطية بسرعة. وندم عليها طويلاً، وحَزن بسببها كثيراً، ونال عقاباً عنها أيضاً.

والقديس المُختَبر موسي الأسود، نبّهنا إلي خطورة الحواس

كأسباب للعثرات الداخلية للمرء بقوله: «إحفظ عينيك لئلا يمتليء قلبك أفكاراً شريرة». ويتضمن بُستان الرَهبان، فصولاً كثيرة، في الحديث عن عثرات الحَواس، وكيفية ضَبطها كطَلب الرسول بولس (عب ٥:١٤) وقد أوجزَها القديس باسيليوس الكبير، في قوله: «إبتعد عن نظر وسَماع ما لا يفيد، فتتخلَّص من فعِل ما لا يُفيد».



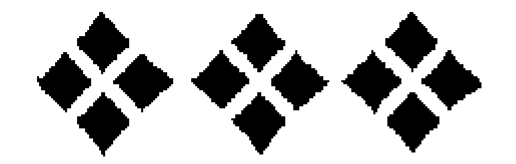
٢ - عثَرات عن طريق الإبتعاد عن الله وترك وصاياه (الجهل الروحي):-

وقد تكون العثَرة بسبب الضَعف البَشري - بصفة عامة - أو عدم الإستناد علي المعونة الإلهية القوية (وسائط النعمة) وعدم سَماع نصائح المُرشدين الروحيين، وآباء الإعتراف المُختَبرين، والوالدين المُتديّنين وإتكال الانسان علي فهمه القاصِر: «عَثَرنا في الظُهر كما في العَتمة» (أش ٥٩: ١٠) ولا شَك: «إننا في أشياء كثيرة نَعثُر جميعنا» (يع ٣:٢).

وقد تكون العثرة نتيجة لإبتعاد الإنسان الخاطيء عن طريق اللّه، وجهلِه بتعاليمه السَامية (عدم حضور العظات والاجتماعات الروحية، فيهلك الإنسان بجهله، أو عدم الرَغبة في تنفيذ الوصية والمشورة (عدم طاعة الوَعظ أو الإرشاد الروحي).

«فالذين يعثرون غير طائعين للكلمة» (١ بط ٢:٨). ولذلك حَذّر الحكيم الناس قائلاً: ويل لمن هو وحدّه، إن وقَع، إذ ليس له ثانٍ (مُرشد روحي) ليُقيمَه» (جا ٤: ١٠)

وكثيرون يسيرون في الظلام ولا يرغبون السير في نور العالم الروحي فيعثرون ويسقطون مع الذين يسيرون معهم.



٣ - عثرات من الشيطان:

يُشير الرب إلي إبليس بقوله: «ذَاك (عَدو الخير)، كان قتالاً للناس منذ البدَء» (يو ٨:٤٤). وهو بالطَبع لا يُميت البَشر بأسلحة مادية، بل يُهلك النفوس بعثراته بالخطيّة، ويدفعها إلي جهنم، عن طَريق أفكاره الهَدامّة، وعثراته المُهلكَة.

وقال ذهبي الفم: «إذا تساءَل البعض: لماذا أُوجِدَ إبليس، والشياطين الأشرار، الذين يُسقطون كثيرين؟! ولماذا يَنبغي أن يأتي ضد المسيح (= الدجال) ويُضل ولو أمكن المختارين، كقول السيد المسيح؟! (مت ٢٤:٢٣)! أقول «اللّه يَسمح بهذه العثرات، لكي لا تَقل مُكافأة الأبرار» (أيوب ٤:٨). ويقول الرسول بولس: «لأنه لابُد أن يكون بينكم بدَع أيضاً، ليكون المُزكُّون ظَاهرين» (١ كو ١١:١٩).

ويُضيف ذهبى الفم بقوله: «إن اللّه سمَح للأشرار بالعَمل - لسبب آخر - وهو أنه إن لم يُظهر ضعفهم، لا يُمكن حصَاد تجديدهم. هكذا تجدَّد بولس، واللص اليمين، والزانية، وزكّا العشّار، وكثيرون غيرهم ويقول أيضاً: «إن ذكرتُم لي من تَعثَروا أذكُر لكم الذين حَصدوا منها مَجداً، لذلك لا يَجوز أن يتسبَّب إهمال البعض، وكسَلهم بالنسبة للمُتيقّظين. فلو لم يُتَح لهم هذه الفُرص من الحروب (الروحية) لأسيء إليهم».

٤ ـ عثرات من المدنّيّة الحديثة (العالم الحاضر) *

وقد تكون العثرات نتيجة لإنتشار الخطية التي تُقدّمها وسائل الإعلام المرئية والمقروءه، بطريقة جذابة، تجعل كثيرين يتعثرون بسهولة، ويسقُطون في الفكرِ والشر. كما إزدادت الكُتب المنحرفة، والأفكار التي تُروّج لمذاهب إلحاديّة أو إباحيّة.

كما أن ثمة جمعيات تدعُو إلي الجريمة، ونَبذ التَدّين، بإعتباره من أزمنة التَخَلف. ولا عَجب في ذلك، فقد تنبأ الكتاب عن العَثرات الكثيرة، في آخر الأيام بالذات (دا ١١:١١ ٤١).

ولابُد إن تنتشر تلك العثرات في العَالَم الحاضر (لو ١٧:١) حيث إقترب مجيء المسيح، ولاسيما وأن الذين يُدبّرون العثرات لغيرهم كثيرون جداً ووسائلهم مُتعددة ومتجددة. وكذلك الذين يتعثرون ليسوا بالقليلين. في الدهر الحاضر خاصة «وأن العالم قد وُضِع في الشرير» (١ يو ٥:١٩). وأن الأشرار أكثر جداً من حِفنة الأبرار باستمرار.

٥ - عثرات من الأصدقاء الأشرار:

خُطورة الصداقة واضحة جداً، ولا جدال في ذلك، ولها تأثيرها البالغ الخَطورة، في كل زمان ومكان، لأن الإنسان بطبيعته اجتماعي، ولديه الرغبة «في التقليد»، ولهذا ينقل عن أصدقائه أفكارهم وكلامهم وتَصرُّفاتهم الطائشة. ونظراً لأنه يَقضي أكبر وقت من فراغه معهم (البيئة الفاسدة)، كما تضطره عشرته من الجماعَة - إلي مُجاراة أعضائها فى لَهوهم وعَبثهم، وحديثهم، وسلوكهم وعاداتهم، والذَهاب معهم إلي الأماكن التي يذهبون عادة إليها (سواء كانت للعبادة أو للهو)، فهو عُرضة للسقوط في الشر، بسبب تلك الصَداقات المُعثِرة.

ولا نُنكر أن ثمة **صداقات مثالية** (روحية)، كانت سبباً في جذب كثيرين إلي الإيمان، وإلى حياة الطهارة، والقداسة، والتَفوق العِلمي، ولنا في كتاب اللّه، وفي سيَر قديسيه ما يؤكد تلك الحقيقة: «ومن يُلاصق صانع الحَديد، يكتوي بناره، ومن يجاور باعة الرَوائح لابُد أن تكون رائحته جميلة»

وإبتعاد الإنسان عن الصداقات المعثرة - قد أمتدحه المرنم قائلاً: «طوبى للرجل الذي لم يَسلك في مَشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يَقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز ١:١) وخيرَ مثال لمتاعب الصداقة الفاسدة، ما ورد في مَثل «الإبن الضال» عن صُحبتَه الشريرة، التي أفقدته ماله، وتركته يُعاني من الجوع والحاجة» (لو ١٥:١٦).

والزواج صداقة دائمة: فإن كان أحد الشريكين مُعثراً، ضاعَت حياة الطرف المتديِّن، وبَردُت حرارته الروحية، وانتهي إلي خسارة نفسه! ولهذا نهانا الرسول بولس، بصفة قاطعة، عن هذا الخطر الشائع وقال مُحذراً: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خِلطة للبّر مع الإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال، وأى نصيب للمُؤمن مع غير المؤمن» (٢ كو ٦: ١٤ - ١٥) ويَكفي أن نقرأ يومياً، عن أمثلة واقعية في صفحات الحَوادث بالصُحف المحلية لنتائج الصداقة الردّية.

وقال القديس أبو مقار الكَبير «إذا مشيت مع رَفيق ٍ صالح، فإنه يُقدّمكِ عَشرة أعوام، وإذا مشيت مع رفيقٍ رديء فإنه يؤخِّرك خمسين سنة».أي أن تأثير العشرة طويل ومُدّمر جداً.

وقال القديس لوقيوس: «لا تأخُذ ولا تُعطِ مع إنسان يُقاتلك به العَدو (عَثرة لك)، بل أنظر لنفسك (لئلا تَسقُط)، وأعلم أن مَصيرك أن تموت وأن تقف أمام الدَيان». وقال أيضاً: «إن كُنت تُحب أن تَخلُصَ من الأوجاع النَجسة (والأفكار الشريرة). إقطع منك الخلطة، والدالة مع كل إنسان، ولاسيَّما من تَري أن قلبك يَميل إليه بشيء من الأوجاع».

وتحدَّث القديس باسيليوس عن أضرار الصداقات «الخاصة» المعثرة، كما طَلب أن نستخدم الحِكمة في تكوين الصَداقة مع الجنس الآخر، وألا نُحب شخصاً حبّاً خاصاً، أي الميل نحوه أكثر من الآخرين، وبخاصة نحو الرؤساء في العمل، أو الخدَمة «لئلا تَحدث عَثرات وتحزّبات وإنشقاقات وحسَد وغير ذلك»! وهو ما أكده القديس أغسطينوس.

وقال داود النبي: «ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً» (مز ١٣٢:١) أي يعيشون معاً في وحدة الروح في أخوّة صادقة، ولهَدفُ مُقدّس، بعيداً عن روح التحيّز لأحدهم، دون سواه بل في حَيدةٍ كاملة!

وقال القديس ما ر إفرآم السّريّاني «إن كانت لك صداقة مع أحد الأخوة وإنتابتك مَضرّة بسبب مُخالطتك إياه، فأسرع وأقطع نفسك منها. ولستُ أقول لك هكذا - أيها الحبيب - لتُبغضَ الناس، كلاً وإنما لتقطع أسَباب الرَذيلة» أي «تُحب الكُل وأنت بعيد عن الكُل» كما قال قديس آخر!

وقال ذهبي الفم: «إسمع ما يقوله الرب: «إن أعثرتك يَدك أو رجَلك فأقطعها وألقها عنك! خير لك أن تَدخَل الحَياة (الأبدية) أعرج أو أقطع من أن تُلقَي في النار الأبدية، ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتَك عينك فأخلعها وألقها عنك! خير لكَ أن تدخل الحياة أعَور من أن تُلقىً في جهنم النار، ولك عينَان» (مت ١٨: ٨ ـ ٩).... إنه لم يَقل ذلك عن الأعضاء (الجسدية) بل من

اجل الإخوة، ومن أجل الأقرباء، أو الأصدقاء، الذين هم عندِنا في مَنزلة الأعضاء الضرورية. فيقول «الرب» إنه ليس شيء أضَرُّ من الاجتماع الرديء والمؤانسة الخَبيثة، فيأمرنا بصراحة شديدة أن نقطع الذين يَضرّوننا... إنه لم يَقتصر علي إعطائه الوَيلات لمن تأتي منه الشكوك، بل أظهر لنا الطريق التي يَخلص بها الإنسان من الشكوك، وذلك عن طريق قطع علاقتنا بالأشرار».

وقال القديس أغسطينوس: «إن العين أو اليد المُعثرة هي الصَديق الشَرير، أو المُشير الذي يقود صديقَه إلي هرطقة خَطيرة» (تعليم غير سَليم).

وقال ذهبي الفم أيضاً: «إذا كانت المُعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الجَيدة، كما يقول الرسول (١ كو ١٥: ٣٣) فينبغَي علينا أن نهرَب دائماً من مُعاشرة الأشرار، والسِكيرّين والمُستهزئين وأمثالهم، لأن الإختلاط بهم وسَماع حديثَهم يجذَب سَليمي القلوب إلي التخَلّق بأخلاقهم». وتعلّمنا الطبيعة أن ثمرة واحدة

مُصابة تُتلف كل ما حولها في السَّلة. والخميرة الصغيرة تُخمّر العَجين كلّه» (١ كو ٥:٦).

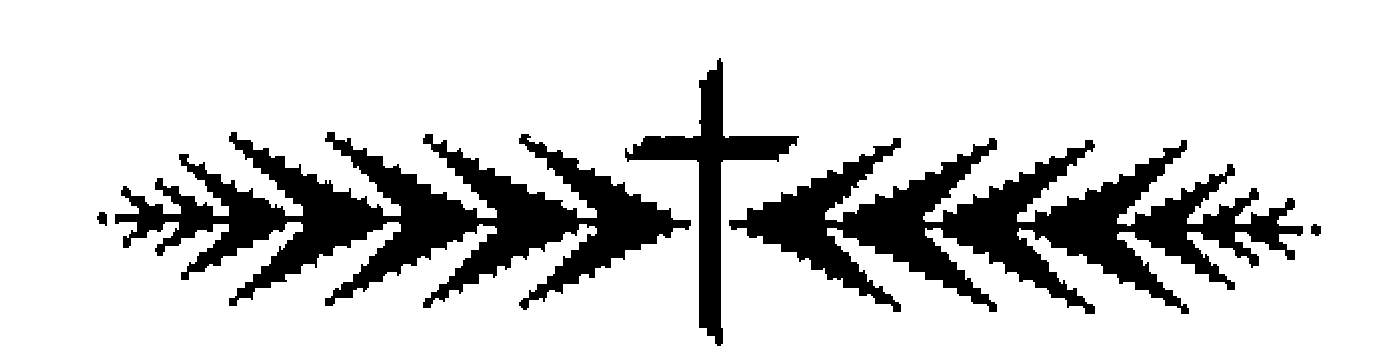
وقال الشيخ الروحاني «صداقة القّديسين النَشيطين تَملُؤك من مَعرفة الله، والملتصِق برجَال الله يَستّغني بأسرار الله. والملتصِق بالجاهل والمتكّبر يَبتعد عن الله». وقال أيضاً: «ليس شيء يَبث في نَفوسنا الطّهارة مثل خِلطة هؤلاء الأطهار الأنقياء القلوب».

وقال في موضع آخر «هذه هي وَقود الشيطان الذي يُصارعنا والتي بها تتقِد النار التي تحرقنا: الحديث الفاسِد، ومُعاشرة الإخوة البَطالين. فإن إبتعدت نفوسنا عنها **فلا تقع في مصائد إبليس**».

وقال متأمّلاً: «إفحصي يا نفسي ذاتِك، إذا طُردَت من جسدك (بعد الموت) ومن هم رُفقاءكِ الذين تَسيرينَ معهم؟! إن كانوا ملائكة نور، فكيف لم يُضيئوا بالخِلطة معهم، إن كانوا

أولئك السَمجين المخدوعين بالشَهوة، فالويلُ لي من صحبتهم! الويل لي من قُربهم، الذي يُبعدني عن ربي، الويل لي لأني أطعتُ غِشَهم، الويل لي لأني صِرتُ شريكاً للشرير بإرادتي»!

ومن الطريف أنه كان لأحد الإخوة «بَبغاء»، إعتادت أن تستمع للألحان والقُدّاس فحِفظت أجزاء منها. وذات مرة زارَه صَديق، فأعجِب بما حفظَته الببغاء، وكان عنده هو الآخر ببغاء اعتادت أن تستمع إلي المذياع، فكانت تُردد الأغاني العَالمية. فإقترض الصَديق ببغاء زميله، حتي تحفظَ بعض الألحان من الأخري، ففوجيء بها يوماً وإذا بها تُردد أغاني العَالَم، بعدما نَسيت كل ما حفظَته من ألحان في بيت الأخ المُبارك، وهكذا وصلَت القُدوة الدَنسة إلي عالم الطَير أيضاً!!.



٦ - عـــثـــرات مـن الهَراطِقَة (المُبــتــدِعين في الدين):-

يقول القديس أغسطينوس «إن الهَراطقة كانوا سبب عَثرة دائماً، لأنهم قَسمَوا الكنيسة، ونقَضوا الإيمان السَليم ، وأصروّا علي آرائهم الخاطئة، حتي صار وجودهم في العالَم مَصدر ضرر كبير علي النفوس البسيطة» ونقَل ما سجّله سِفر أعمَال الرُسل عن يهوذا الجَليلي «الذي أزاغ وراءه شَعباً غفيراً، وهَلك، وجميع الذين إنقادَوا إليه تشَتتوا» !! (أع ٥:٣٧).

وقد ظهرَت بدع كثيرة، عبّر التاريخ المسيحي، كانت سبب عَثرة لكثيرين، تأثرُّوا بها وعَثُروا مع الهَراطِقة. ومن هؤلاء «فيجلس وهرموجانس» (٢ تي ١:١٥)، «وإسكندر النَحاس» (٢ تي ٤:١٤) الذين قاوَموا بولس الرسول في خدمته في آسيا الصُغَري. كما وبّخ الرَب أسقف كنيسة برغامس لتَساهله مع الهَراطقة. وقال له «عندي عَليك قليل، إن عندك هِناك قوماً

مُتمسكين بتعاليم بُلعام...هكذا عندك أيضاً قَوم مُتمسّكون بتعاليم النقوُلاويين ، الذي أبغضه» (رؤ ٢:١٥).

ومن الطوائف المُنحرفة حالياً شِهود يهوه والسَبتيين الذين يعتنقون «المباديءَ اليَهودية»، ولكنهم يُنادون بكتاب المسيحيين، لخداع قلوب الجهلاء، الذين يَنقادُون إلى آرائهم الباطلة. وقد تحدَّث الرّب عن الذين عَثُروا لجَهلهم بالتعاليم السليمة فقال: «**هلك شعبي من عدم المَعرفة**» (هو ٤:٦).

ويقول مُعلّمنا بولس الرسول: «لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة يجَمعون لهم مُعلّمين (كذَبة) فيصرِفون مسامِعَهم عن الحَق، وينحرِفون إلى الهرَطقات[٣] (البِدَع) (٢ تي ٤: ٣ ـ ٤).

وحذّر الرسول – كنيسة روما ـ من المُعلمين الكذَبة، ومن المُنحرفين في عقائدهم، وقال «أطلب إليكم - أيها الإخوة – أن

تُلاحِظوا الذين يصنَعون الشِقاقات والعثَرات **خِلافاً للتعليم الذي تعلمتموه واعرَضوا عنهم**... لأن مثل هؤلاء لا يَخدِمون رَبنا يسوع المسيح... وبالكلام الطيّب والأقوال الحَسنة (المُنمقة) يخدعُون قلوب السُلماء» (رو ١٦: ١٧ ـ ١٨).

وقديماً هدَّد الرب أمثال هؤلاء المُعثرين قائلاً: «كل إنسان إرتد عَني... ووضع مَعثرة إثمه تلقّاء وجهه... أجعل وجَهي ضد ذلك الإنسان، وأجعله آية ومَثلاً واستأصله من وسط شعبي» (حز ١٤: ٧ - ٨).

وإتماماً لكلام الله، فقد هلك المُبتدَعون أريوس ونسطور، وأوطاخي، وسابيليوس، وغيرهم، إلا أن أفكارهم المُنحرفة لا تزال آداة في يد الشيطان، يستخدِمها ضد الأرثوذكسية (= السليمة) المُستَمدة من تعاليم الرُسل، ومن أقوال الآباء القدّيسين المُعتَبرين أعمدة في الكنيسة الأولي.

٧ ـ عثرات من الإضطهادات (لأجل الإيمان):

ولا شك أن الكنيسة قد عَانت كثيراً من اضطهادات شديدة ومُتنوعة، لعدة قرون مُتواصِلة، وكانت غالبية المؤمنين تحتمل كل هذه الالآم بإيمان كامل. ولكن كانت هناك أيضاً بعض النفوس الضَعيفة الإيمان التي تَعثَّرت في البداية، أو خارَت قواها أمام شِدة العذاب،أو خلال الاضطهاد الاقتصادي (محاربة المسيحيين في أرزاقهم)، أو بسبب عدم التعَمُّق في عِشرة الله. كقول الرّب: «إذا حدَث ضِيق أو اضطهاد، من أجل الكُلمة فحالاً يَعثرون» (مت ١٣: ٢١).

ويذكُر ذهبي الفم: «إن استشهاد القديس إسطفانوس وقيام هيرودس بقتل يعقوب البَار، كانا سَبباً في تَعثُر البَعض، لكن الغالبية من المؤمنين إقتدَت بالرسل، وظل هؤلاء وُقوفاً» ويستشهد بكلام الرسول بولس لأهل فيلبي حينما يقول «ثم أريد أن تَعلَمُوا - أيها الأخوة - أن أموري قد آلت أكثر لتقدم

الإنجيل، حتي أن وُثقي صارَت ظاهِرة في المسيح، في كل دار الولاية، وفي باقي الأماكن أجمع، وأكثر الإخوة ـ وهم واثقون في الرب بوُثقي - يجترئون أكثر علي التكلّم بالكلمة بلا خوف» (في ١: ١٢ -١٤).

ويُعلن ذهبي الفم بقولِه «لقد رأوا مُعلمهم في السجن مُقيداً، مُبكم الفَم، مَضروباً مُتألماً بكل أنواع الألم، **فلم يَعثروا. ولا تأثروا من** «الاضطهاد» بل بالحَري زادت محبتهم، وصارت آلام معلمهم طاقة عظيمة للحروب الروحية. ولست أنكر أن البعض هلكوا! فمن الطبيعي أن ينهار البعض قُدام الإضطهادات الشديدة، ولكن ذلك يرجع إلي ضَعف «إيمان» هولاء وليس إلي الأحداث، ففي العَالَم **سيكون لنا «حتماً» ضيق شديد** (يو ١٨:٣٣) وقد أعلَن الرَّب ذلك من قَبل «قد كلمتُكم بهذا لكي لا تَعثُروا، سيُخرِجُونكم من المَجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن من يَقتلكم أنه يُقدِّم خدمة (ذبيحة) للّه» (يو ١٦: ١ ـ ٢).

✝ ✝ ✝

٨ - عثَرات من تَجارُب الدُنيا الصعبة:

التَعثُّر في إدراك عناية اللّه بنا، أثناء الضيقات المختلفة (ولاسيما التي لا دَخل للإنسان فيها) **وعدم فهم الغرض الآلهي منها** يقودان حَتماً إلي الغضب والتجديف، أو السقوط في بالوُعة اليأس، والإبتعاد عن طريق اللّه، كما يحدُث كثيراً في عالمنا المَعاصر. وقال أرميا النبي عن أمثال هؤلاء: «في وقت مُعاقَبتهم يعثرُّون» (إر ٨:١٢) هذا في الوقت الذي يهدف فيه الرب - بكل الحَب - إلي إصلاح إعوجَاجهم، بتأديبهم **كآبٍ صالح**، يُريد النجاح لأولاده (عب ١٢:٦) بَعدما تفشل كلماته الحَنونة في إرجاعهم عن شرّهم.

وقد أخبر أحدهم إشعياء النبي بقوله: «قد تركَني الرب وسيدّي نسَيني» فقال له: «هل تنَسي الأم رضيعها، فلا ترحم إبن بطنها؟!» ويُعلّق ذهبي الفم بقوله: «يستحيل علي الأم أن

تنسي رضيعها، (أو على الأقل نادراً جداً) فبالأولي لا ينَسي الرب البشرية، ويقول المُخلّص: «ولو نسيت الأم رضيعَها انا لا انساك... تأمّل كيف تَفوق مُحبة اللّه محبة الأم»!

ويقّال أيضاً: «من أجلك يا إنسان هَيأ الملكوت، ولأجلك أعدّ خيرات لا تُوصَف، ونصيباً مُعداً في السماء، وفرحاً لا يُنطق به. أمام هذه الدلائل العظيمة التي تؤكد عنايته، لا تزال تَشك؟! كلاّ....!»

«فإنه أكثر عَطفاً عليك من والديك... إن كنت تصمت أمام الطبيب، وهو يستأصل العُضو الفاسد (من جسدك). ويأمرك بشرب الدَواء المُر، وأنتَ تحتمَله في صمت، بل وشكر، وتطيعه في خضوع، مع أن كثيرين ماتوا علي أيدي أطباء، فكم بالأولي يليق بالإنسان أن يخضع للدّيان والمهُندس صاحب السُلطان علي كل شيء في الكون» .

ويستمر ذهبي الفم في حديثه قائلاً: «لم يَتعثّر إبراهيم، حينما أمرَه الرب أن يُقدّم إبنه الوَحيد مُحرقة، مع أن هناك أسباب كثيرة كان يُمكن أن تُعثرِه، فهو يطلب منه أن يقتل إبنه الشَرعي الذي سُرَّ به والذي كان يُحبّه. وكان يمكن أن يتعثّر، لأن هذا الأمر يخالف الوعد بأن نسله سيكون مِثل رَمل البحر، ولكن البار لم يتَعثّر ولا إضطرب، ولم يَقل في نفسه هل خدعني اللّه؟! لكنه أطاع بإيمان (عب ١١:٨).متي قارنت هذه الأحداث بما يحدُث مَعك، تُري صِغر نفوس المُعثرين، مُدركاً بوضوح أن سَبب العَثرة هو عدم التسليم بين يدي العَناية الإلهية».

وفي موضع آخر يتساءل ذهبي الفم قائلاً: ألم يتعرّض يوسف الصدّيق لأمر مُماثل؟! فقد أخذ وعَداً عظيماً، **لكن الأحداث جاءت متناقضة تماماً لما قيل له**»! وبعدما استعرّض القديس ما حّل بيوسف من تجارب كثيرة، قال أنه لم يتعثر! وكذلك تحدّث عن تعرّض داود النبي للآلام القاسية «وهو المَسوح مَلكاً وصاحب السّلطان،

بإرادة اللّه، وكيف صارت حياته في خَطر، ومع ذلك لم يقَل أين الوعود ؟! ولا تَعثَّر بسبب الأحداث، وإنما إنتظر هو أيضاً تحقيق الوَعد»!

ويقول أيضاً: «لم يبَحث الأبرار كيف وبأية وسَيلة تتحقّق مَواعيد اللّه، حتي حينما كانوا يرون كل الأمور قد تعقدّت للغاية، بالنسبة للفِكر البَشري، لم يتأثّروا ولا أضطربوا، بل احتملوا في صبر، ودليلهم - علي المُستقبل المُبشّر - هو قُدرَة ذاك الذي وعد، لهذا لم ييأسوا أمام تكذيب الأحداث للوعود. وأنت أيضاً إن زادت تجاربَك - في هذه الحالة - أشكر اللّه ولا تعثُر وأعلم أن عناية اللّه لا نهائية».

وعندما سُئل ذهبي الفم: «ماذا تقول عن الكثيرين الذين تَعثّروا» ؟! رَدّ بقوله: «عندما تري عَثرة هؤلاء فَكر في كَرامة الآخرين. لقد سقط البعض، لكن كثيرين لا يزالون مُنتصبين، مُهيئِين أنفسهم لأعظم مكافأة، إذ لم تُسقِطهم قوة الأعداء (في الخطية) ولا قسوة الظروف.»

ثم يضيف بقوله: «مَن تَعثَّر بسبب ظَرف خاص، ليُفكّر في الثلاثة فتية، وقد أبعدُوا عن الكهنة، والهيكل والمذبح، وكل فروض الشريعة، وعاشوا في أرض غريبة، ومع ذلك ظلّوا مُتمسكين بوصايا الناموس بدِقّة. وأيضاً دانيال وغيره كثيرون، لقد سُبيَ البعض منهم مَن لم يُخطيء، بينما الذين بَقوا في ديارهم وتمتّعوا بخيرات بلادهم، ضلّوا واستحقوا التأديب»!

ونضيف إلي هذا كله تجربة «أيوب الصدِّيق» التي فقد علي إثرها عياله وماله، وظل سبع سنوات يُعاني من المَرض حتي شفاه الله!

†††

٩ - عثرة بسبب صليب المسيح:

كَتب أحد الخدام يقول: «لقد إعتَبَر السيد المسيح صخَرة عثرة وحجر صَدمة، لأن وداعة حياته وخجل موتِه كانا مانعاً من قبول اليهود أياه، لأنهم ظَنوا أن المسيح لن يأتِ إلا كملك عظيم».

وقـال أحـد المفسّرين: «إن عـثـرة الصليب تعنَي أن تعليم الصليب يُغاير أفكار الإنسان الطبيعي»، ويذكر البَشير متي« أنه عَندما أعلَن الرب يسوع أنه ينبغي أن يتألَم كثيراً من رجال الدين اليـهـودي، ويصلبـونه، وفي ثالث يوم يقـوم من الأمـوات، حـاول بطرس الرسول أن يُثنيه عن هذا الهدف الإلهي. فقال له المُخلص: «إذهب عني يا شيطان، **انت معثرة لي**، لأنك لا تهتم بما للّه، لكن بما للناس» (مت ١٦: ٢١ ـ ٢٣).

وفي مَوضع آخر إمتدح السيد عدم الشك في عمله الخلاصي علي عود الصليب، وقال «طوبي لمن لا يعثَر فيّ» (مت ١١:٦).

ويقول ذهبي الفم: «كم من أناسٍ تعثّروا أمام صليب مُعلمنا، وأزدادوا شراً وسَفاهة» (مت ٢٧:٤) ولكن اللص اليمين سيُدين هؤلاء (يْشـهَد عليـهم)! فـقـد نظر إلي الصليب، ولـم يتـعـثـر بالمسيح، بالرغم من رؤيتـه مَصلوباً، مَضـروباً مُهـاناً. لقـد أبكم الشاتمين مُعترفاً بخطاياه، رغم أنه لم يَر مُعجزات السيـد المسيح.

وهكذا يَعثر البعض بصليب المسيح لعدم فهمهم عمل اللّه العظيم من أجل خلاص جميع البَشرية الساقطة».

وكل مَنْ يُؤمن به لا يخزَي من إعلان صليبه، والإفتخار به، ومن يُنكره تحلّ عليه لعَنات السَماء. فمنذ سنوات قليلة إستمَعت إمرأة إلي كلمات صديقاتها المُعثرات، بأن تُزيل الصليب، من علي يديها. بزعم أنها عادة بلدية قديمة! وذهبَت فعلاً إلي طبيب، لتنفيذ هذه المَشورة الشريرة، ولكنها سُرعان ما نالت جزاء نُكرانها لصليب الفادي، فقد صعقَها التيار الكهربي، الذي إستخدمه الطبيب لإزالة هذا الوَشم المُقدَّس!

هذا من جهة تلك النَفس المسكينة التي عَثرت بصليب رب المجد. أما المؤمن فلسَان حاله يُردِّد قول بولس الرسول: «وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به صُلِبَ العالَم لي، وأنا للعالَم»! (غل ٦:١٤).

١٠ - عثرة من الزينة الخارجية للنساء:

تتساهَل بعض السيدات والآنسات في إرتداء الملابس الخلِيعة (المُوضَات المُعثرة). مما يجرف كثير من الرجال والشبان نحو هَاوية السقوط، في خطية الشهوة بالفكر، ثم الوقوع في النجاسة الفعلية. وقد قال القديس باسيليوس: «المرأة التي تُثير الإلتفَات سَبب عثَرة، وتشبه الزَانية، كل من ينظر إليها ويَشتهيها يَزني بها في قلبه»!(مت ٥:٢٨).

ويقول القديس چيروم: «إن العدو الجُهنَمّي من هَمه أن يَبتديء الإنسان فقط بفتح الباب وحينئذ هو يُكمّل، فيجعل الإنسان يُحدق في وجه فتاة مُعثرة، **وقد يكون ذلك شرَارة من جَهنم،** تدَمّر النفس، وترميها إلي الهلاك». فزينة دليله أذلّت شمشون، وجَسد «بتشبع» العاري. أعثر داود، وجلَب عليه الحزن طوال حياته. ولهذا يقول سليمان الحكيم: «تُبغَض المرأة **السيّئة** أكثر من الموت لأنها مَصيدة للجُهّال» (جا ٧:٢٦)!.

وقد أشار إشَعياء النبي للمُوضات المُعثرة، وأثارها الضّار (إش ٣) . وقال حزقيال النبي مُحذراً المُعثرات: «ويل لكِ لأنكِ زَجسّتِ جمالكِ، وفرّجْتِ رِجليكِ لكل عابر، فاحملي خِزيكِ، انتِ القاضية علي اخواتكِ» (حز ١٣:١٦)

وتحدّث إرميا النبي عن نتائج عَثرة الزينة بقوله: «وقد صار عِقاب بنت شعبي أعظم من قصاص خطية (مدينة) سَدُوم، التي إنقلبت في لحَظة» (مراثي ٤:٦).

وتَحسّر النبي علي الساقطين بسبب عَثرات النِساء وقال: «ياليت رأسي ماء وعينّي ينبوع دموع، فأبكي نهاراً وليلاً قتلَي بنت شعبي» (أر ٩:١)!

ويقول القديس باسيليوس: «ليس لنِسَاء النَصاري سُلطان أن يتَكحّلن، لئلا يَصرْن مَصائد وعَثرة للجُهّلاء. وقال في نسكيّاته (٢٦:٢٤٩) «ولا تتزَيّن إمرأة علي خديّها بحمرة، بل تمشي

بعَفـاف، ووجـهـهـا مطأطيء لأسـفل (أي بإتـضـاع)، ولا تتـزيّن بُحسن كاذبِ الذى هو بأودية (= أدوات تجميل) ورسَم بكُحل!»

«وتحـريك أعيَن بـلا حِشـمـة، وإشـارة حـركـات أصـابـع بغـواية، وضِحك مملوء حَلاوة كـاذبة، ومَشي بـلا هدوء. وكـلام ليس فـيـه عِفة. هذه المثالاتِ الكثيـرة تُثير الزُناة، وتـدَع الشهـوات تتـحرَّك في أعضاء الذين يُشاهدُوهن»!

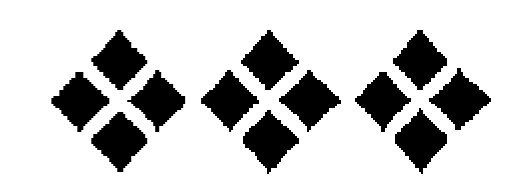
«ويُضـيـف بقـولـه: «إنَك إذا تأملّت المرأة الشـريرة (المُعثـرة)، فأنك تعرفـهـا بخُبث وجـهـهـا، أما المرأة الجيدّة، فإنها تُعرَف بجودة وجـهـهـا (= الخالي من الأصباغ) ولا تتزيّن إلابالـزيـنة التي زيّنها بهـا الخـالق. والمرأة التـي تتـعطّر بطيبٍ حَسن - وهي مـاضـيـة إلي الكنيسة - هي شك وكلها عثرة»!!

وتحدَّث الرسول بولس أيضاً عن زينة النِسـاء (١ تي ٢: ٩ - ١٠) وحثّ علي ضـرورة إرتداء النسـاء ثياباً تليق بقداسة بيت الرب،

وتساءل قائلاً: «إحكموا في أنفسكم هل يَليق بالمرأة أن تُصلّي وهي غير مُغطّاة»؟! (١ كو ١١: ١٣).

وقد ورَد في الباب الثاني من الدسقولية (تعاليم الرُسل) النصيحة التالية للأخت المسيحية القارئة: «إن أردت أن تكوني مؤمنة ومرضية لله، فلا تتزيني لكي تَرضي رجالاً غُرباء (= خارج المنزل). ولا تَشتهي لبس الملابس الخفيفة، ليتبعك الذين يصيدون مَن تكون هكذا! وبذلك تُدانين، لأنك تَضطرين مَن يَراك أن يتبعكِ ويَشتهيكِ... **فلماذا لا تتحفظين** لئلا تَقعي في الخطية، وتَدَعَي أحداً يقع في شكٍ (عَثرة) لأجلكِ»!

ويُقدّم الحكيم أبن سيراخ نصائحه للرجال قائلاً: «لا تَتفرّس في العذراء، لئلا تُعثرك محاسنها، فحُسن المرأة أغوَي كثيرين، وبه يَلتهب العِشق كالنار». وكُن كأيوب الصِدّيق القائل: قَطعت عَهداً ألا أتطلّع في عذراء» (أي ٣١: ١٩).



١١ - عثَرات من السلوك الفاسِد:-

تتــرك القُدوة الـسَيـئــة تأثيـراً سَلبـيـاً عـلي الـنـاس، وتزداد فـاعِليـتـهـا إذا مـا صدَرت عن إنسـانٍ مُتديِّن، أو من جَمـاعـة من المؤمنين، بما يُخـالف مـا في أذهان الناس من جـهـتـهـم. فـغـيـر المسـيـحـيـين يندهشـون حـينمـا يـقـرءون - في الصـحف عن تصرُّف سَيء لأحـد المسـيـحـيين، أو فـعلٍ شـرير إرتكبـه أحـد زمـلائـهم (المَسـيـحي) لأنهم يرون في هذا العمل المُشين خروجاً عن القاعدة التي وضـعـوها في أذهـانهم عن المسـيـحـيين، كـأناس يسلكون سلوكاً حسناً دائماً، كما ترسَّخ في الأذهان عَبر السنين.

وقـد كـان بوسع زعـيـمٍ كـبـيـر - كـغـانديَ - أن يدفـع بملايين الهنود، إلي إعـتـناق الديـانة المسـيـحـيـة، تلك الديانة التي أحبَّ مؤسـسـهـا، وعَشق شرائعها لولا عَثرة المُستعمرين الإنجليز، الذين لم يَكن يـهـمـهـم تقـديم شخص المسـيح للهنود بقـدر إهتـمـامـهـم الرئـيسي بسلب أمـوالهم! ونفس الشيء ينطبق أيضاً علي قـيـاصرة

رُوسيا ، مما مهَّد - بدون شك - إلي ثورة **مضادة** إنقلبت علي الدين، وأغلقت بيوته، وبطشت برجاله، الذي صَمتُوا عن الأوضاع السابقة المُتردِّية، وعاني الشعب ٧٠ سنة.

ويتعثَّر الناس ببعض الخطايا التي يقع فيها الأشرار كالرشوة والسرقة، وعدم الأمانة في العمل والإختلاس والتزوير وأمثالها ، وتزداد عثَرتها إذا ما افتُضِح أمرها ، وأعلنت على الملأ: «خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلي القضاء (الإلهي) ...» (رو ١٤: ١٣)!

وقد أعطانا السيد المسيح مثالاً في ضرورة **اتباع القوانين السائدة في الدولة**. ومراعاة نُظمها ولوائحها ، مثلاً ضرورة سداد الرسوم - أو الضرائب - المُستحقة للدولة فعلاً. فقد خاطب الرَسول بطرس قائلاً: «لئلا نُعثرَهم إذهب إلي البحر، وإلقِ الصِنارة، والسَمكة التي تطلع أولاً خذها ومتي فَتحت فاها تجد إستاراً» (من ذهب) فخُذه وأعطهم عني وعنّك» (مت ١٧: ٢٥ - ٢٧)!

وبالنسبة للسلوك نحو الآخرين: قال ذهبي الفم «إننا قد نَنحطّ حتي نُخطيء، بما يُشكك الضُعفاء كأن نَضرب ونَخطف ونَستعبد الأحرار... الخ.فمن لا يَشُك بسبب هذه الأعمال؟!»

ويضيف بقوله: «هذه الأقوال إذا ما سمعناها يا أحبّائي لا نستَهين بمن يتشككُون، وإلا تكون عائقاً لبشارة المسيح. فإن إتفق أن ما سُمح لك به، يُسبّب ضَرراً لأحد، إمتنع عنه. كما فعل بولس أيضاً، إذ لم يأخذ ما قد سَمح له المسيح أن يأخذَه.

ويقول الكتاب: «من يُحب أخاه يثبت في الظُلمة وفي الظُلمة يَسلك، ولا يعلم أين يمضي، لأن الظُلمة (= الخطية) أعَمت عينيه» (١ يو ٢: ١٠ - ١١).

وليحذر كل مسيحي، لئلا يُعثر أحداً بأعماله، أو بتصرفاته التي لا تُمجّد الله (رو ١٤: ١٣). «فيهلك بسبب عملك الأخ الضعيف (روحياً)، الذي مات المسيح من أجله» (١ كو ٨: ١١).

وكم أهلكت الكبرياء (وغيرها من خطايا السلوك) نفوساً تعثرت بمن سَلك فيها.

ومن الجدير بالذكر أن القُدوَة السَيئة إذا إشتهرت تظل هكذا سنيناً كثيرة، لا ينساها الناس مُطلقاً وليس أدلّ علي ذلك من نعت الشرير بإسم «نمرود» وهو إنسان عاش في العالم منذ ٣٨٧٧ عاماً. فأصبح سلوكه مَثلاً شائعاً طوال هذه القرون الطويلة. وحتي الآن أيضاً!!

ويذكُر الكتاب أنه لولا المَسلك الحَسن الذي سلكته أبيجايل، مع داود، لكان قد عَثر فعلاً بقتله زوجَها الشرير «نابال» بسبب تصرُفه المُعثِر مع رجال داود، «وبُخله ونُكرانه للجَميل» (١ صم ٢٥:٣١).

فلنُفكر يا أحبائي في كل تصرُف قبل الإقدام عليه، حتي لا نكون سبباً في إعثار الناس، ونُعطَي حساباً - أمام الديان - عن أنفسنا، وعن الذين عَثروا بسببنا!

١٢ ـ عثرات من الوالدين البَعيدين عن اللّه:-

يُقلّد الطفل الصغير والديه في تَصرفاتِهما، الشريرة والصالحة، فالوالدان «مرآة» للأبناء الصّغار. ويلاحظون بكل دقة كل تصرّف يصدُر عنهُما، مهما بدا صغيراً. أو تافهاً. فينعكس أثره علي حياة الصغير، فيما بَعد. ويشُبُّ حامِلاً من أخلاقهما وتصرفّاتهما السلبية التي لا تُمجّد اللّه، مثلما يرِث عنهما الأمراض الجسدية يرِث أيضاً. الميكروبات الروحية، ويقول الشاعر:

إذا كان رَبُّ البيتِ بالدّفِ ضَارباً

فشِيمَة أهلُ البَيِت كُلهم الرّقصُ

ولا شكَّ أن القُدوة السيئة للآباء تَقتل المَباديء الساميِة في الأبناء. وصراعهما الدائم، أو عدم إتفاقهما في حياتهما الزّوجية ينطَبع بالتأكيد، في ذهن الأطفال الأبرياء، مما يُشوّه أفكارهم عن

الزواج عندمــا يكبــرون، وتكون أسـرتـهم طِبق الأصل مما كــان لأهلهم. وعلي النقيض، فإن الأسرة المُباركـة تُنتج أولاداً مُباركين «وإن كان الأصل مُقدساً، فكذلك الأغصان» (رو ١١:١٦).

وفي تفسيره لحديث الرب يسوع عن العثرة «للصغار» (لو ١٧: ١ ، ٢) يقول قداسة البابا شنوده «الصغار... إما أن يكونوا صغاراً في السن، أو صغاراً في الإيمان، أو فـي الدرجة الروحية، بحيث يُمكن للعمل المُعثر أن يتعبَهم، فالعثرة بالنسبة للصغير تكون صعبة. ولها نتائج خَطيرة. لأن المباديء تتداخل أمامه، وليس عنده الإدراك لغربلة الأمور السليمة من الخاطئة»!!

ويُضيف قداسته بقوله: «كثيراً ما يتكلم كِبار أفراد الأسرة - أمام الأطفال - بكلام ما كان يَليق أن يسمَعوه، علي اعتبار أنهم لا يفهمونه. وغالباً ما يعثرهم أو يرسب في أذهانهم. كذلك تشاجُر الوالدين أو إختلافهما أمام أبنائهما الصغار. يُسبِّب لهم العثرة لأنهم يتوقعُون المثَالية من الكبار. وأيضاً طلاَق الوالدين عَثرة لأبنائهما».

ويقول قداسته أيضاً: «وما أكثر ما تكون وسائل الترفيه - التي تقتنيها الأسرة- عثرة للأولاد، سواء بعض برامج التليفزيون، وأفلام الفيديو والراديو، وبعض المجلات والكتب، وحفلات تقيمها الأسرة، تكون عثرة لأبنائها. وكثيراً ما يتعلم الأطفال - من أفراد أسرتهم - الكذب، والتهكم علي الآخرين، والمبالغة، بل قد يقلدونهم في حركاتهم، وملامحهم وأصواتهم. وقد تأتي العثرة من الفكر، أو التعليم الذي يتلقونه من الكبار، خاصة إذا كان هذا التعليم يغرس فيهم أفكاراً منحرفةً، أو يسبب لهم مشاعر خاطئة، أو كراهية نحو البعض... إن الصغار أمانة في أعناقنا فإن لم نستطع أن نغرس فيهم الخير، فعلي الأقل لا نعثرهم».

ويقول القمص تادرس يعقوب: «إن الطفل أكثر حساسية لإدراك تصرفات والديه. فقد يعلماه ألا يكذب، بل يعاقباه علي الكذب، لكنه سرعان ما يكتشف أن والده وأمه يكذبان، كأن تنكر الأم وجود الوالد، إن سأل أحد عنه، وهو موجود. ففي هذه

اللحظة يتشبّع الطفل بروح الكذب، مهما عاقبه والده... وهكذا قد يطالبانه أن يُصلِي، لكنه سُرعان ما يُدرك استهتارهما في الصلاة».

ومما يُعثر الأطفال كَثرة انتقادهم بكلمات مُعثرَة وعدم تعليمهم سلوك طريق «الفضيلة». وفي هذا يقول أحد القديسين: «الأطفال يحتاجون إلي نماذج لا إنتقاد».

وقد دُهِشَ أحد الآباء المعاصرين عندما زار إحدي الأسَر، وسأل الأطفال عن أسمائِهم، فلم يعرفوا سِوي الأسماء (المُستعارة) التي أطلقها عليهم الوالدَان. وقالا: هذا يُدعي «شيطان، وذاك يُدَعي عَفريت وهذا جن»... الخ!!

ومن عثرات الوَالدين أيضاً، تلقين الأطفال كلمات شريرة، ويفرح هؤلاء الآباء الغير حكماء عندما ينطق الأطفال الصغار بتلك الشتائم (بقصد التَفكّهة أمام الضيوف)،وليتهم يُدركون

خُطورة مِثل هذا التعليم في الصِغر، لأنه سيستمرّ في الكِبَر.

وقد حَّث القديس إيرونيموس الأمهات علي إبعاد أطفالهن عن المُربيات والشَغالات تَجنباً لسماع كلماتهن المعثرة، وأن يَقُمْن بتعليمهم بأنفسهن، خدمة لأولادهن ولأنفسهن: «لأن المرأة ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التَعَقُّل» (١ تي ٢ : ١٥).

وعن عثرة الزوجة لزوجها «بسبب الغَضب»، نقرأ تلك العبارة في الدسقولية: «إقطعي عنكِ الحُزن لاسّيما مع زوجك، لئلا يتشكك (يعثُر) من أجلك، ويُجدِّف علي اللّه».

كما ينبغي علي الرجال أن يكونوا بلا عثرة في سلوكهم مع زوجاتهم، حتي لا يَعثَرن بسببهم، وينحرفن عن طريق النِعمة. وكم هو جَميل أن يعمل كل شريك علي إكتسَاب وِد وصداقة الطرف الآخر، لأن البيت المُنقسَم علي ذاتِه يخرب، وينَعكس ذلك، بالطبع علي الأبناء الأبريَاء، وعلي الأقارب الآخرين، المُحيطين بهم!

١٣ - عثَرات من الطعام أو الشراب

أثيرت مشاكِل الطعام والشَراب - الطاهِر والنَجس- منذ بداية العَصر الرسُولي، كنتيجة لدخول الكثير من اليهود - المُتعصّبين للناموس - إلي الإيمان المسيحي، ولم يتخلّصوا تماماً مما لهم من أفكار عن الطعام النجس والطاهر، التي تُقرِرّه شريعة موسي (أع ١٠:١٤). وكذلك لوجود المسيحية (المُبتَدئة) وسَط عَالَم وثني له عاداته الشريرة مثل الذَبح للأوثان، وغيرها.

وقد تم بَحث هذا الأمر في المجمع الرسولي الأول بأورشليم سنة ٥٣م. وقد تم الإتفاق - بين الرُسل - علي تحريم أكل «كل ما ذُبح للأصنام، والمخنوق والدم» (أع ١٥:٢٩). وتعرَّض الرسول بولس لنفس المُشكِلة في أوربا، فحَّث المؤمنين علي تجنُّب عَثرات الطعَام. ووضع قانوناً عاماً للسلوك علي أساس أن «كل الأشياء **طاهرة**، لكن شرّاً للإنسان الذي يأكل بَعثرَة. حَسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً، ولا شيئاً يصطدم به أخوك. أو يَعثر أو يضعف» (رو ١٤:٢٠ - ٢١)

ووضع الرسول قانوناً آخر نصّه: «كل الأشياء تحل لي، ولكن ليس كل الأشياء تَبني» (١ كو ١٠:٢٣).

كما كتب للشعب المسيحي - في كورنثوس - ناصحاً - ومُقدِّماً نفسَه مِثالاً عَملياً في قوله: «كونوا بلا عَثرة لليهود واليونانيين. ولكنيسة الله، **كما انا ايضا ارضي الجميع**. في كل شيء **غير طالبٍ ما يُوافق نفسي**، بل الكثيرين لكي يخلُصُوا، فكونوا متمثلين بي، كما أنا أيضاً بالمسيح (١ كو ١٠:٣٢، ١١:١٠).

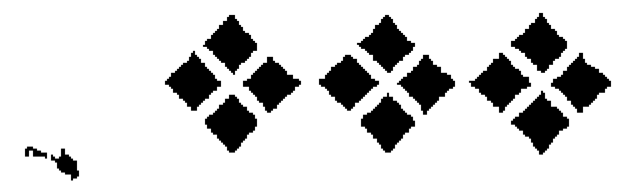
وقال أيضاً: «كل من يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء» (١ كو ٩:٢٥)، **فإن كنتم تأكلون او تشربون. او تفعلون شيئاً. فافعلوا كل شيء لمجد الله... كونوا بلا عثرة**» (١ كو ١٠:٣١ - ٣٢).

ويقول ذهبي الفم: «هناك شيء مُخيف، أكثر من كل شيء، وهو أن المسيح لم يُطالبَك أن تموت من أجله، ولكن الذي مات المسيح لأجله، أن تَحتسبَه شيئاً؟! حتي إنك ولا من مائدة نَجسة

تبتعد عنها من أجله؟! بل تتركه يَهلك بعد هذا الخَلاص بسبب طعامك، وبهذا تكون زلأتك عظيمة، وهي أنك أعثرتَ أخوك، وهو ضعيف وقد اعتني المسيح به، حتي مات لأجله، وبعد هذا هَلَك بسبب طعامك: «وهكذا إذ تخطِئون إلي المسيح لذلك إن كان طعام يُعثِر أخي. فلن آكُلَ منه الى الأبد لئلا أعَثِر أخي»(١ كو ٨:١٢ - ١٣). فأي شيء يُشكك أخي، ولو كان مَسموحاً به لنا، وفي سلطانِنا أن نأكله، لكنني أمتنع عنه لا يوماً ولا يومين، بل كل أيام حياتى»!

ويضيف يوحنا ذهبي الفم بقوله: «هذه الأقوال لم يقلها الرسول لأهل كورنثوس فقط، بل يحَق له أن ينطق بها لنا نحن أيضاً الذين نحتقر خلاص القريب، فنقول تلك الأقوال الشيطانية: «ماذا يَهُمني إن شَك فُلان أو هلك فُلان؟!» إنها أقوال قاسية لا إنسانية فيها، بالرَغم من أن الهَلاك، بسبب ضَعف المُتشككِين، وليس منا».

وتدلّ النصوص المُقدّسة السَابقة - بكل تأكيد - علي أن التدخين وإحتساء الخمر، والأدوية المخدرة - كمعثرات للأخوة والأبناء - تُعتبر خطايا كبيرة، علاوة علي أضرارها المؤكدة للصحة، وفُقدَان المَال والسُمعة. فهل نقتنع بهذه الكلمات، ونُقلع عن تلك الآفات؟! ولا شك أن لدي اللّه وسائل فعّالة، فاذهب إلي الكنيسة (المستشفي الروحية) وستجد علاجاً روحياً يخلصك من كل آثار الخطية وعاداتها الرديّة.



١٤ - عثرات من الكلام الباطل (عثرات اللّسان):-

يتعثّر كثيرون من الكلمات الشريرة، ومن الأحاديث الدَنسة التي يرويها الأشرار، خاصة في بعض المُناسبات التي يتفوه فيها البعض بكلمات لا تُمجد اللّه. فيتأثر السامعون بها، خاصة إذا ما صدَرت عن مُتديّنين (أو خدأم للكلمة). وقد يَسقُط اللسان في

الكذَب أو القَسم، أو الكلام البّطال، فيكون ذلك مدَعاة إلي زلة السامعين في خطايا النميمة والإدانة، وإنتقال الصورة الرديئة لكثيرين آخرين، فيتَعثرونّ هم أولاً من سَماع تلك الروايات منهم، ويعمل عدو الخير علي تذكير الناس بكلمات العَثرة. كما يهدف إلى زيادة تشويه سُمعة المُتحدّثين بالأباطيل وتحريف كلماتهم الرديئة، بما يدفع غيرهم إلي التَعثُر بها أيضاً.

كما أن الكلام المُعَثر يُوَلد الخصومات، ويخلق المشاكل الأسَرية، والإجتماعية، ويوقع المُتكّلم في الخجل والحَرج، أو التحقيق والمُساءلة، ويقود أيضاً إلي الغضب. والعراَك، وربما يدفع إلي القتل أيضاً.

وقد أحصَي أحد الخدَام أربعة وستين خطية للسان! وهنا تتضح خطورة الكلام.، ونتائجه المادية والروحية. وتدعو الحاجة إلي ضرورة تجنب إعثار الغير بالإدانة (مَسك السِيرة الرَديئة). والذم والنميمَة ونقل كلمات الغير للآخرين، وأن يتعوّد الإنسان

علي الصَمت في المواقف التي تحتــاج إلي السكوت أو - علي الأقل - أن يتكلم الإنسـان بكلمـات مُشـجِّعـة، تُبـعدِ الناس عن التَجـديف والغـضب واليـأس، وليَكـن هدَفنا دائمـاً: «أن نعـمل كثيرا، ونتكلَم قليلاً».

ويقول المثل الشائع: «إن السمكَة التي تَفتح فمها. تصطادها صنارة الصياد بسهولة».

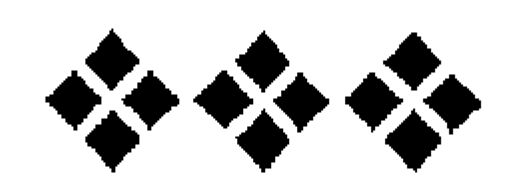
وقـال القـديس أغـاثون: «إن السَيـرة الفـاضلَة، بدون كـلام نافعة، وأما الكلام بغير عمل فهو باطل».

وقـال مـار إسـحق «إن صـوم اللسـان خيـر من صـوم البطن، وصوم القلب عن الإفكار الشريرة أفضل الكل».

وقـال القـديس أنطونيـوس «إحذر أن تتكلَم بـكلام فـارغ، ولا تسـمَعـه من غَيرك، أو تُفكّر فـيـه... وليكن كلامك في ذكر الله، واسـتـغـفـاره». وقـال داود النبي «تجلس تتكلم علي أخـيك (إدانة)، لأبن أمَتكَ تضَع مَعثَرة» (مز ٤٩ : ٢٠).

وقال بولس الرسول: «لا يَغُرَكم أحد بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضَب الله علي أبناء المعصية، فلا تكونوا شُركاءَهم (في الأحاديث المعثرة). لأنكم كُنتم قَبلاً ظُلمة، وأما الآن فنور في الرب» (أف ٥: ٦: ٨).

ولا شك أن النجاح في ضَبط اللسان، يُفيد أيضاً في التَدَّرب علي ضَبط أعضاء الجسد الأخري، كقول الرسول يعقوب: «إن كان أحد لا يَعثُر في الكلام فذاك رَجل كامِل، قادر أن يُلجم كل الجَسد أيضاً (يع ٣:٢).



١٥ - عثَرات من الخُدَّام غير الرُوحيين:

تُعلِمنَا الطبيعة، أنه كُلَّما إرتدَى الإنسان ثوباً ابيض كلما ظهَرت به أدني بقعة سَوداء! هكذا كلما كرَّس الإنسان حياته لخِدَمة الله، كلَّما أصبَحت هفواته عثرات، لكثيرين من رعيته،

وهذا مدعـاة إلي أن يكون حَذِراً في كلماته، وتصرفاته أمام شَعبه، وأمـام غيـرهم من الناس، وقد أشترط الرسـول بولس في المَدعُّو للخدمة المُقدسة: «أن يكون بلا لوَم... وأن تكون له شهادة حَسنة من الذين هم من خارج، لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس»!!(١ تي ٣: ٢ - ٧).

ويقول القديس بولس أيضاً: "لسنَا نجعل عَثَرة في شيء لئلا تُلام الخدمة» (٢ كو ٦:٣). كما يكشف عن جانب آخر من حياته بقوله: «أنا أيضاً أدرّب نَفسي، ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة. من نحو الله والناس» (أع ١٤:١٦).

هذا وقد تَعثَّر كثيرون من بني إسرائيل بسبب الكَهنة الأشرار، وأنبياء البَعل: وقال الرب: «إن شعبي قد نسيني، بَخروُا للباطِل (للأصنام)، وقد أعثرَوهم في طرقِهم، في السُبَل القَديمة» (إر ١٨:١٥).

ويذكَر الكتاب: «أن بلعام كان يُعلّم بالآق (الملك)، أن يُلقي معثرة أمام بني إسرائيل، أن يأكلوا ما ذُبح للأوثان ويزنُوا» (رؤ٢: ١٤)

وكان كهنة اليهود، ورؤسائهم، قد أبتعدوا عن تقديم السوب إلي العالَم، وسلكوا في تفاسير خاطئة! إذا يقول ملاخي النبي مُخاطباً إياهم: «لأن شفتّي الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطّلبون الشريعة إنه رسول رب الجنود، أما أنتم فحدتُم عن الطريق وأعثرتُم كثيرين بالشَّريعة» (ملا ٢: ٨)!

ونفس الشيء كان خلال خِدمة المُخلّص علي الأرض فإن قادَة الدين اليهودي، لم يكن سلوكهم ولا أفعالهم مَرّضية أمام الله، ولهذا قال الرب للشّعب: «كل ما قالوا لكم أن تحفَظوه، فآحفظوه، وآفعلوه. ولكن حَسب أعمالهم لا تعَملوا، لاتهم يقولون

ولا يفعلون ويُحمّلون الناس أحمالاً ثقيلة» (بسبب تفسيراتهم الصعبة التَنفيذ) (مت ٢٣: ٣ -٤) وصَّب يسوع عليهم الويلات الكثيرة: «لأنهم يُغلقون مَلكوت السموات قُدَّام الناس فلا هم يدخلون، ولا يَدعون الدَاخلين يدخُلون» (مت ٢٣:١٣)!

ويقول القديس غريغوريوس الثيئولوغوس (الناطق بالإلَهيات): «إن الذي يَعظ بالكلام، لا بالأعمال، يُقدِّم النفوس نحو الخَلاص باليد الواحدة ويؤخّرهم باليَد الأخُري، بواحدة يبني، وبالأخري يهدم.فهؤلاء هم الكَتبة والفريسيين الذين وبّخهم السيد بقوله: «الويل لمَن يقول ولا يعمل، لأن مثل هؤلاء لا يُحرِكون قلوب الخُطاة ولا يأتون في تعاليمهم بالثمار».

ويقول جناب الآب تادرس يعقوب: «تأخذنا الغيرة علي هذه النفوس، فنتحدّث عن يسوع في البيت، أو الكلية أو مكان

العمل، أو في مدارس الأحد...، ولكن سُرعان ما نُعثِر المخدومين، فبغيرتنا البَشرية، وحماسنا الوَقتي نفعل ما صنعته الدّبة التي أحبّت صاحَبها فألقته بحجرٍ علي رأسه، وهو نائم لتقتل الذُبابة التي تحوم حوله؟(١) !!

وخادِم الرَب الأمين، يجب أن يعمل ما يُمجّد اللّه، فلا يتشكّك بواسطته أحد، وبذلك يكون مسئولاً عن هلاكه امام الرّب (في يوم الدين) «البار إن رجع عن برّه وصنَع إثماً، **وجعلت معثرة امامه**. فإنه يموت (بخطيته). **اما دمَه فمن يدك اطلبه**» (حز ٣: ٢٠)!

وقد أكدّ الرب علي ضرورة مُمارسة الفضائل، والسلوك المستقيم. **قبل العمل الكرازي**: «من عمل وعَلّم يّدعي عظيماً في ملكوت السموات» (مت ٥:١٩).

---

(١) القمص تادرس يعقوب - الحُب المُقدس (١٩٦٤) ص ٨٢ .

وقال القديس إكليمنضس الإسكندري: «إنك لم تَعمل ما تقوله لغيرك، وقد كُتِبَ الويل لمن يقول ولا يعمل».

ومن أشد عَثرات الخُدّام «خلافهم العَلني» أمام رعيتهم، أو مخاصَمتهم البعض، مما يجعلهم مَشاراً لحديث الشَعب، وذيوع تلك العَثرة. وقد تسبَّبت عَثرة أحد الخُدّام في ترك كل رعيته لكنيسته، وإنضمامها جميعاً لطائفة أخري، في إحدي قُريَ الصعيد، في أوائل القرن الحالي!!

وإلى الخُدّام نَسوق هذه الكلمات الصريحة للرسول بولس: «إنك قائد للعُميَان، ونورٌ للذين في الظُلمة، ومُهذِّب للأغبيَاء، ومُعلّم للأطفال، ولك صُورة العِلم والحَق في الناموس، فأنتَ إذن الذي تعلم غيرك، ألستَ تعلم نفسك؟! ... لأن إسم الله يُجدّف عليه، بين الأمم (بسبَبك)، كما هو مكتوب» (رو ٢: ١٩ ـ ٢٤)!!

ويُسجّل الكتاب المُقدّس عَثرات لخُدّام مَشهُورين. فقد كان رجوع بطرس الرسول إلي الصَيد (بعد القيامة مباشرة) سَبباً في عَثرة ستةً من التلاميذ معه!! (يو ٢١:٣).

وكانت مُحبة المال قد أعثَرت قلب يهوذا الإسخريوطي، وأهلَكته. وكذلك تَعثّر ديماس الخَادِم، بنفس الطريقة، طِبقاً لما ذكَره الرسول بولس: «ديماس تركني، إذ أحَب (ماديات) العالم الحاضر» (٢ تي ٤:١٠). ويزال المَال سَبباً لعَثرة كثيرين: في عَالم اليوم، خاصة إن كانوا من الخُدّام!!

وينبغي أن يكون رَجل اللّه حَكيماً في استخدام «الحِل والرَبط» طبقاً لقول بولس الرسول: «أنظروا لئلا يصير **سلطانكم هذا مَعثرة** للضُعفاء (روحياً) فيهلك بسبب عملك الأخ الضعيف روحياً، الذي مات المسيح من أجله» (١ كو ٨:٩).

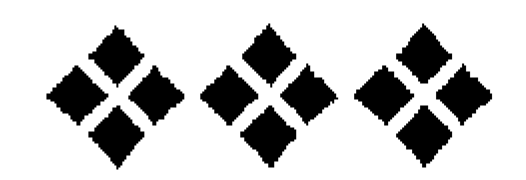
وبالإجمال ، فالدعوة لجميع الخُدّام إلى السلوك القَويم،

لإبعاد رعيتهم عن العَثرات (السَقطات). إذ يقول الرب: «**إرفعوا العثرة عن طريق شعبي**» (أش ٥٧: ١٤).

وكتب الرسول بولس ناصحاً الأسقف تيموثاس «**أوصيك أمام الله**، الذي يُحيي الكُل، المسيح يسوع، الذي شَهد لدي بيلاطس البُنطي بالإعتراف الحَسن، أن تحفظ الوَصية، **بلا دَنس ولا لوم**. إلى ظهور رَبنا يسوع المسيح» (١ تي ٦: ١٣ - ١٤).

وكتب أيضاً لكل الشعب في كورنثوس - ناصحاً: «كونوا بلا عَثرة» (١ كو ١٠: ٣٢).

وقد ذكر أحد الخدام أنه بعد إنتهاء عُرس أحدهم وقف العريس مع عروسه، يتلقيان التهاني، فكان كل واحد ينظر الي بدلته ولا ينظر إليه، مما أثار غيظه، فلما وصل إلي بيته أكتشف أن بدلته السوداء قد تلوثت ببقعة من الشمع مما أثار أنتباه المدعويين. وهكذا العثرة مهما كانت صغيرة فلها تأثيرها الكبير. لاسيما بالنسبة لصغار النفوس الجاهلة روحياً.



الفصل الثاني
القُدوة الصالحة

القُدَوة الصَالحة هي النَمُوذج الجيِّد، للمسيحى الحقيقي، الذي يَقتدي به الناس، في كل حياتنا حتي مماته). ويُقلدونه في تصرُفاتِه الحسنة، وحكمته الروحية،مما ينعكس أثرَه علي سلوك أعداد كبيرة من البَشر القَريبيين والبَعديين أيضاً. فقد تتعدي سيَرته دائرة المكان والزمان الذي يعيش فيه، إلى غيره من أقطار العالَم، وإلى أجيال أخرى كَثيرة. وخَير مِثالٍ على ذلك سِيرة القديس العظيم أنبا أنطونيوس، التي اقتادَت نحو مئة ألف لحياة التكريس. وحب الرَب ووصلَت سُمَعتُه إلي أوربا، فأقتادت أغسطينوس إلى التوبة، ودفَعت بالآلاف منهم إلى الرهبنة، وكانت ولا تزال سَبباً في توبة كثيرين من الخُطاة. في كل مكان حتي الآن.

أ - الإقتداء بالمسيح:

إن مخلّصنا الصّالح هو «نور العالم» وهو «الأُسوة الحَسنة» والنموذَج المِثالى الكامل الذي بلا عيبٍ، الذي ينبغي أن يُتبع من جميع المسيحيين، سواء في أعماله الرّحيمة، أو في فضائله الكثيرة، أو في تعاليمه العظيمة، أو في سلوكه الوَديع، وتضحياته الغالية من أجل البَشرية، كقول الرَسول بُطرس: «إن المسيح تألّم لأجلنا **تاركا لنا مثالاً**، لكي تتبعُوا خطواته» (١ بط ٢ : ٢١).

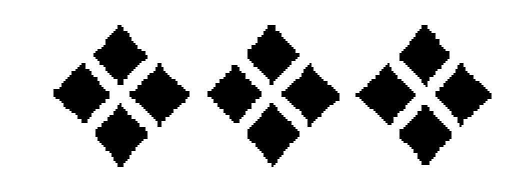
ولا عجَب في ذلك، فهو القائِل بفمه الطاهر: «تَعلّموا مني» وقال لتلاميذه: «لأني أعطيتكم مثالاً، حتي كما صنَعت أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً» (يو ١٣ : ١٥) وقال لهم في موضع آخر: «أنتم شهود لذلك» (لو ٢٤ :٤٨) فهل نحن شهود حقيقيين أم شهود زُور؟!

ولا شك أن النظر إلي يسوع يدفع الإنسان للأمام، فلا يَعثّر في طريق الصليب، بل يحمله المؤمن العادِي، كما فعل الفادي.

وقد كتب القديس يوحنا الحبيب قائلاً: «مَن قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يَسلك هو أيضاً» (١ يو ١: ٦)

ويقول العلامة أوريجانوس: «من الأليَق بنا أن نقتفي أثر المسيح، الذي كان صامتاً أمام قُضَاته، ولم يُجب علي الإفتراءات المُوَجَّهة إليه من أعدائه، إلا بقداسة سيرَته، وبشهرة آياته».

وقد حَث الرسول بولس المؤمنين إلي «النَظر إلي رئيس الإيمان ومُكمّله (الرَب) يسوع» (عب ١٢: ٢) ودعا الرسول بطرس المُؤمنين، إلي الإقتداء بالله في قَداسته - أي طهارة الحَياة. ونقاوة القَلب والفكر واليد أيضاً - وقال: «نَظير القُدوس الذي دعَاكم كُونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرَة، لأنه مكتوب كونوا قديسين، لأني أنا أيضاً قدوس» (١ بط ١: ١٥ - ١٦) وذلك تأييداً لدَعوة الرَب ذاته بأن «نكون كاملين وقديسين، ولنكون نَماذجاً حيَة لحياته المثالية وحتماً سيعمل الرُوح القَدس علي تنقية النَفس من خلال وسائط الخلاص.



٣ - الإقتداء بالأنبياء والرُسُل:

يُسجِّل الكتاب المُقدَّس سيراً عديدة لشخصيات مُباركة، لنحتذيها في مَسلكها الجميل. وكم يكون مُوافقاً جداً لو أننا درسنا سيَرَ هذه الشخصيات العظيمة بالتفصيل واقتبسنا من فضائلهم، ما يُفيدنا فعلاً، في حياتنا الروحية والعَملية، تنفيذاً لوصيَّة الرسُول يعقوب الذي قال «خذوا يا إخواتي مِثالاً لاحتمال المَشقات والأناة: الأنبياء الذين تكلَّموا بإسم الرب... قد سمعتم بَصبر أيوب ورأيتم عَاقبة الرَب» (يع ٥: ١٠ ـ ١١). فلنسلك في الصَبر مثله.

وقد تحدَّث الرسول بولس عن سِيرة موسى النبي، واصفاً إياه بأنه: «كان أميناً في كل بيته، كخادِم شهادة للعتيد أن يتكلم به» (عب ٣: ٥). ثم أسهَب في الحديث عن فضيلة الإيمان، وقدَّم نماذِجاً لأبطاله من خلال حياة خمسة عشر نَبياً (عب ١١: ٤ ـ ٤٠).

كما سَجَّل سِفر أعمال الرُسل أعمال بطرس وبرنابا وبولس وتيموثاوس وأسطفانوس، وغيرهم من رجال الله الذين ساروا بالأمانة لنقتني الفضائل التي كانت لهم.

وقـد تحـدَّث الرسـول بولس - عـدة مـرات - عن سِيـرتَه الشـخصيـة،قبل وبعـد دعوَته للخدمة، وتضمنت جهادَه من أجل نشر الإيمان، وما تحَمَّله في سبيله، من اضطهادات وآلام صعبة، دامت نحو ثلاثين عاماً مُتواصلة، أوجزها في قوله: «إني حامل في جسدي سِمات الرب يسوع» (غل ٦:١٧). وكان قدوة في تنفيذ وصايا الرب، وفي مـسلكه كـمُمَثل له علي الأرض: «نسعي كسفراء للمسيح. كأن الله يعظ بنا» (٢ كو ٥ : ٢٠).

وحُث الرَسول المؤمنين علي تقليـده، في سلوكـه القَويم، في القداسة والخِدمَة. فقال «كونوا مُتمثلين بي معاً - أيهـا الأخـوة - ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة» (فيلبي ٣:١٧).

وقـال لأهل كـورنثـوس: «أنتم شـهـود، والله (أيضـاً) كـيف بطهارة وببر وبلا لوم - كُنا بينكم - أنتم المؤمنين» (١ كو ٢: ١٠)

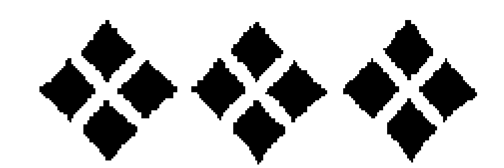
وقد قـرأت عن حديقـة ذات روائح جميـلة جداً في رومـانيـا، كان كل من يزورها يَشتَمُّ الناس رائحة الزهور فـيه، ولو بعد فترة. ويعرفون أنه قد كان هذا البُستان!!. وأبناء الفرَدوس هم أيضاً لهم سيَرتهم العَطرة. «أنتم رائِحة المَسيح الزكية» (٢ كو ٢: ١٥).

وقد كتَبت كاتِبة مسيحية تقول: «إجعلني أجد المسيح فِيك، وقداسة المسيح فيك، ظاهرَين إنكم رسالة المسيح المَقروءَة والمَعروفة من جميع الناس، عندما تتكلم عن الحِرام، لا يكون فيك هذا الحرام، وعند الإشارة إلي طهارة اليَد، لا تَسرق شيئاً وعندما تتحدَّث عن القَداسة، تعيش الناس هذه القداسة فيك».

وقد قيل أن إبن أحد الملوك قد هَرب بعد موت أبيه في حرب، وقامت ثورة طردَت الأعداء، وأرادت إرجاع إبن الملك لتولي الحُكم - فعَلِم المَسئولون أنه يعمَل مُتخَفياً وسَط مجموعة من العمال، في مَصنع، دون أن يعرفَه أحد! فذَهب أحد الوزراء الأذكياء إلي هناك وطلب رؤية العُمال - أثناء الأكل في المَطعم - فوجد شخصاً يختلف عن باقي العُمال في طريقة الأكل، فأدرِك أنه هو إبن المَلك، حقاً نحن لا نَتغيَّر في وسط العالَم الشرير، والناس يستطيعون أن يُميزّوك جيداً عن باقي زُملائك، لأنك تختلف عنهم. هكذا أولاد الله ظاهُرون وأولاد العالَم ظاهُرون في سلوكياتهم وطريقة حياتهم.

وقد قيَل أيضاً إن الإسكندر الأكبر، قد إكتشف في جيشه أن

جُندياً يحمل إسمه (الإسكندر). وكان ذاك جَباناً! فقال له مُحذّراً: «إمـا أن تكون شُجاعـاً أو تُغيّر إسـمك». وهكذا لا يَليق بإبن المسيح أن تكون له صِفات، غير صفات رب المجد.



٣ـ الإقتداء بالشُهداء والقدّيسين (المُجاهدين في ميدان الروُحيات)

«الشَهيد» هو شاهد نَموذجي لحياة المسيح وتعاليمه والإستشهاد هو «شِهادة» مكتوبة بالدم، لإثبات جِهاد الشَهيد، وأحتماله للآلام الشديدة، وشهادة للحَق أمام الوُلاة، وأمام الشعوب الوَثنية «وإن مَاتَ يتكلّم بَعد» وستظَل ذِكَراه الطَيبة إلي الأبد، حسب وَعد الله: «ذِكر الصديق يدُوم إلي الأبد» (مز ١١٢: ٦)، وأسماء الأشرار في التَراب».

هذا وتمتليء كُتب التاريخ الكَنسي بأمثلة رائعة لشُهداء عُظماء من كل الأعمار، والأجناس، صاروا «نماذج» لكل السَائرين في طريق الله الضَيق، في كل زمان وكل مكان، مثلما

كانوا قدوة أثناء تعذيبهم.فقد آمن نحو أربعمائة نفس بالمسيح بسبب العذابات التي نالتها القديسة «دميانة»، وكذلك الحَال نفسه مع «مار جرجس» والأمير «تادرس».ومارمينا وغيرهم.

ويُحدّثنا الرَسول بولس عن نَماذج من العذابات التي نالها الشُهداء، ودَعانا إلي الإقتداء بهم، في احتمالهم وصبرهم وقال: «إذ لنا سحابة من الشهود... لنطَرح كل ثِقلٍ والخطية المُحيطة بنا، ولنجَاهد بالصَبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب ١٢:١).

والسحابة ترمز للنَقاء وللعُلو، ويراها الجميع وينتفعون بها وقت الحرارة الشديدة، كما أن هؤلاء الشُهداء هم كثيرون.

وقد قدّم شعب كنيسة أورشليم «القُدوة» في احتمال الإضطهادات - لمؤمني كنيسة تسالونيكي، طبقاً لشهادة الرسول بولس الذي يقول: «فإنكم - أيها الأخوة - صرتَم مُتمثلين بكنائس الله، التي في اليهودية... لأنكم تألّمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم، تلك الآلام عينها، كما هَم أيضاً من اليهود» (١ تس ٢:١٤).

ويحفظ لنا التاريخ أمثلة حيّة لقديسين كثيرين عاشوا على أرضنا، وفي أديرتنا، ولا يزالون يعيشون في قلوبنا، وقد إتصف كل منهم بفضائل معيّنة ذاعت عنهم، أو عُرِفُوا بها، كصمت أرسانيوس وإتضاع مكاريوس، ورحمة بيمين، ومحبة موسي الأسود، وقداسة سيرة الأنبا بيشوي، وعطاء الأنبا إبرآم... وهكذا. ومن ثمَّ ينصحنا القديس موسي الأسود بقوله: «كن مداوماً علي قراءة سيَر القديسين كيما تأكلك غيرة أعمالهم» أي تعمَل كأعمالهم الصالحة.

أما بالنسبة للقدّيسين الأحياء، فينبغي لنا أن نزورهم في أماكن تعبُّدهم، ونتزوّد بعظاتهم ونصائحهم أو نُرسل لهم الرّسائل. ونتلقى كلماتهم، ونقرأ عن اختباراتهم، لنتعلّم منها ما يُفيدنا في حياتنا الروحية. وتوصيلها للآخرين أيضاً.

ويقول ذهبي الفم: «لنُصادِق الصدّيقين ونعش معهم فترات طويلة، لا ليحسبنا الآخرين أننا قديسون مثلهم، بل بقصد الإقتداء بهم ونوال بَركتهم. فصداقة المجاهدين تُلهب القَلب بالغَيرة (المُقدّسة) والجهاد... وهنا يلزمنا أن نَذكر أنهم مهما بلَغوا من

شوطٍ في طريق الجهاد، هم بَشر مُعرَّضين للسقوط، وليسوا آلهة مَعصُومين من الخطأ، فإن أخطأوا نُخطيء مثلهم، أو نيأس نحن من خلاصنا»! ويضيف بقوله: «كما أن الذين يُجالسون بَاعة المِسك والأطياب العَبِقة يكتسبون الروائح الزكية. هكذا ينبغي علَينا أن نُلازم الحُكماء والمُعلّمين (الرُوحيين) وأرباب الفضيلة لنقتدي بمثالهم في الصالحات».

ونقرأ في سِيرة القديس أنطونيوس. أن مجموعة من الشّباب ذهبَت إلي لقائه في البريّة، وأمطروه بأسئلة مُتنوعة، أجاب عنها، ولكن القدّيس سَأل أحدهم عن سِر صَمتِه وعدم مشاركتهم في أسئلتهم فقال له الشاب: «**يكفيني يا ابي ان انظر إلي وجهك**».

+ + +

٤ - الإقتداء بخُدّام الله المُباركين:-

يظهَر في كل جيل أعدَاد غير قليلة، من الخُدّام المُباركين، ورِجَال الله الأمناء الذين يجُولون في بِقاع الأرض، أو يستقرّون في أماكن مُعيّنة، مُبشّرين بالكلمة، ومُقدّمين للناس القُدوَة العَملية، بعدما أثمرَت كلمة الله في حياتهم فظهرت محَبة الله

بشكل عملي - في خدمتهم المُضحيّة: «صائرين أمثال للرَعية» (١ بط ٥ :٣). وإن كنا لا نَراهم بالجسد فإن حياتهم «مُمثلة في كلماتهم واختباراتهم وتفسيراتهم للكُتب الإلهية»، تظل قُدرة للأجيال التالية.

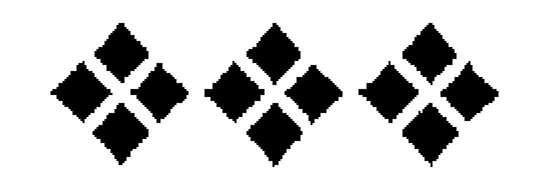
ويُقدِّم الرسول بولس نفسه: «نَموذجاً» يُحتذَي به في الجهاد من أجل الخدْمة: «ولسنّا نجعل عَثرة في كل شيء لئلا تُلام الخِدمة، بل في كل شيء نُظهر أنفسنا - كخُدّام الله - في صَبر كثير ، في شدائِد، في أصوام، في طهارة، في عِلم في أناة، في لُطف الرُوح القُدس، في مَحبة بلا رياء، في كلام الحَق» (٢ كو ٦: ٣ ـ ٦).

وحثّ الرسول تلميذه تيموثاوس - كخادِم الله ان يسلك في كل المجالات بما يُمجّد من يخدمَه: «لا يستَهين أحد بحداثتك، بل كن قُدوة للمؤمنين، في الكلام في التصرف. في المحبة. في الروح. في الايمان، في الطهارة... إهتم بهذا... لكي يكون تقدّمك ظاهرا في كل شيء، لاحظ

نفسَك والتعليم، **لأنك إن فعلتَ هذا** تُخلّص نفسَك. والذين يسمعُونَك» (١ تي ٤: ١٢ - ١٦).

وكتَب الرسول إلي كنيسة تسالونيكي، **مقترحاً تقليدهم له، في جهاده من أجل امتداد ملكوت الله، علي الأرض،** فقال: «وأنتم صرتم **متمثلين بنا، وبالرب** (يسوع) إذ قبلتم الكلمة... **حتي صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون**، لأنه من قبلكم قد أذيعَت كلمة الرب، ليس في مقدونية وأخائية فقط، بل في كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله» (١ تس ٦:٧).

هذا ويدعو الرَسول - جميع المؤمنين - إلي تذكّر الخُدّام المُباركين والإقتداء بهم في تعبهم، وفي خدمَتهم الباذلة، فقال: «أذكُروا مُرشديكم الذي كلمُّوكم بكلمة اللّه، أنظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم» (عب ٧:١٣).



الفصـــل الثالث
مجالات القُدّوة الصالحة

١ ـ قُدوة في الكلام:

من المُؤكد أن الكلام الجَيّد يَتـــرك أثرَه العظيم في قلوب سامِعيه، سواء في وقتِه أو لسنين عديدة.وخير مثال علي ذلك هو كلام أبيجايل (زوجة نابال) **المملوءة رقة وإتضاعاً**، وكيف كانت لكلماتها فاعليتها العجيبة، في تهدئة قلب داود الغاضب، من سوء تَصرف زوجها نابال الأحمق، ووضَعت حَداً لمشكلة خطيرة في الأسرة (١ صم ٢٥ : ٢٢). ولما مات زوجها أحبها داود وتزوجها.

وقد كَتب القدّيس بولس الرسول - إلي تلميذه الأسقف تيطُس - يقول: «وأما أنت فتكلّم بما يَليق بالتعليم الصَحيح... **مقدماً نفسك**، في كل شيء **قدوة** للأعمال الحَسنة، ومُقدماً في

التعليم نقاوة، ووقاراً وإخلاصاً، **وكلاماً صحيحاً غير ملوم** لكي يُخزي المُضاد، إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم» (تي ٢ : ١ ـ ٨)

ويقول الرسول بولس لكل المؤمنين، بصفة عامة، «ليَكن كلامكم كل حين بنعمة مُصلحاً بملح، لتعلَمُوا كيف يجَب أن تجاوبُوا كل واحد» (كو ٤:٦).

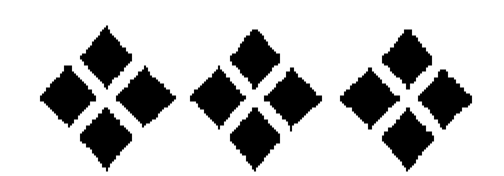
وقال أيضاً: «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكُم، بل كل ما كان صالحاً للبُنيان حَسب الحَاجة، **كي يُعطي نِعمة للسامعين**...، ليُرفَع من بينكم كل مَرارة وسخط وصياح وتجديف... وكونوا لُطفاء بعضكم نحو بعض، شَفُوقين مُتسامِحين كما سامَحكم اللّه أيضاً في المسيح» (أف ٤:٢٩ - ٣٢).

وقد أمتدَّح القديسون فضيلة الصَمت في أوقات مُعينة، يحتاج فيها الوضَع إلي السِكوت.

وقال القديس أنبا بيمين: «**الكلام من اجل الله جيّد، والسِكوت من اجل الله جيدّ**».

ومن المُفضل أن يبتَعد الإنسان عن الصوت المُرتفع أو التلويح بيديه، بل يمزج كلامه بالإبتسامة والهدوء، تبعاً لنصيحة الرسول بولس: «إحرصُوا أن تكونوا هادئين... لكي تسلُكوا بلياقة، عند الذين هم من خارج» (١ تس ٤: ١١ - ١٢). وقال أيضاً: «إفعلوا كل شيء بلا دَمدمة. ولا مُجادلة، لكي تكونوا بلا لوم وبُسطاء، أولاداً لله، بلا عيب، في وسط جيل مُعوَّج، ومُلتوٍ تضيئون بينهم كأنوار في العالم» (فيلبي ٢: ١٤ - ١٥)

والإنسان الحَكيم يُحوِّل دفة الحديث المُعثر إلي حديث روحي مليء بالاختبارات الروحية، ويَذكر بإتضاع مُعاملات الله معه، أو مع القديسين، بدلاً من التحدُّث عن سِير الأردِياء، وذوي السُمعة الغير طيبة، ولا يكون عثرة للسامعين، فلا يسقطون في الخطية بسبب كلامه المُعثِر.



٢ ـ قدوة في الأعمال الصالحة:

يقول أحد القدّيسين: «قُل حَسناً وإفعل أحسن ولهذا يَنبغي أن يكون «المسيحي» صُورة حقيقية «للمسيح» في كلماته المباركة، وفي مُعامَلاته مع الخُطاة، وفي محبته العَملية، ورحمته اللانهائية. سواء للأقرباء أو الأعداء، وفي هذا يقول الرسول بولس: «**كونوا متمثلين بالله**، كأولاد أحباء، وأسلكوا في المحبة، كما أحبّنا المسيح، وأسلم نفسه لأجلنا قُرباناً وذبيحة لله **رائحة طيبة**» (أف ٥: ١ ـ ٢).

ويُقدّم المؤمن مسيحَه للناس، ويُظهر تعاليمه السامية، بقُدوته وأعماله المباركة، كابن أمين لله، وكحفيد للشُهداء والقدّيسين، مصداقاً لقول المخلّص «أنتم ملح الأرض... أنتم نُور العالم... فليضيء نوركم هكذا **قدام الناس**، لكي **يروا اعمالكم الحسنة. ويمجدوا اباكم الذي في السموات**» (مت ٥: ١٣ - ١٦).

ويقول ذهبي الفم: «عندما يكون بعضنا مُتوانٍ في الفضيلة، كيف نَمْلك علي الأعداء؟! ومن يَصغي إلينا من الذين في

الخارج، إذا ظهَرت رذائل لنا ؟! **فالسيرة الطاهرة تسد فم الشيطان نفسه. وتبكمه**، وذلك الذي أقوله دائماً أن من يُعلّم بالفضيلة، ويَتحدَّث عنها، يجب أن يُعلّم بها في ذاته أولاً، فيرغّبها السّامعون. هذه الأقوال أتحدَّث بها للرؤساء والمَرؤوسين وقبل الكُل لنفسي، لنوضّح سِيرَة تُوجب العَجب، ولنحتقر الأموال ولا نحتقر جُهنم».

ويضيف القديس بقوله: «أتريد أن تعرف كيف يتمجَّد اللّه بسيرَة عَبيده ؟! وكيف يكون ذلك أفضل من صُنع المُعجزات؟! لقد طرح بختنصّرالثلاثة فتية في الأتون، وإذ رأي أن النار لم تمسسهم قال «مُبارَك اللّه الذي أرسل ملاكَه، وأنقذَ الفتية من الأتون، لأنهم اتكلّوا عليه... فتمجيد اللّه لم يَكن من مجرد حدوث المعجزة، بل لأجل سِيرَة مَنْ خَرجوا من الأتون... إذ هي ليسَت بأقل من حدوث المُعجزة. وقبول الدِخول في الأتون مُعجزة ليسَت أقل من نجاتهم منها، وأنهم حتي عندما كانوا عَتيدين أن يُلقوا في النَار كان إهتمامهم هو مَجد اللّه».

ويقول القديس يعقوب الرسول: «مَن هو حكيم

وعَالِم بينكم، فليُرِ أعمـاله بالتـصرُّف الحَسن في وداعة الحِكمة» (يع ٣: ١١).

في العُصور المُظلمة، فَرض الحاكم بأمر الله أن يحمل نَصاري مصـر صُلباناً حديدية كبيـرة، مُدّلاة فـوق صدورهم! ونزل الوالي ذات ليلة - مُتخَفياً - ليَري أحوال الرَعيّة، فـرأي أحد الأقباط، وقـد جلس علي نول للنسيج فـي وقت متـأخر، وقـد علّق صَليباً ثقـيلاً علي صـدره، وقـد تـركَت سلسلتـه الحديدية حَزاً غـائِراً في رقبته. فسأله الوَالي عن سبب حَمله هذا الصليب الثقيل، رغم أنه كَهل ضـعـيف ولا يراه أحد؟! فـأجاب قـائلاً: «إن الوالي أمَرنا بحمَله» ولكنه خاطبَه قـائلاً: «ولكن الوالي لا يَراك الآن»؟! فقال له الرجل المؤمن: «يا سيدي لابُد أن أطيع السُلطان، حَسب وصية الإنجيل» فتعجّب الوَالي من مَسلكِه هذا. وكانت قُدوته هذه سبباً في رَفع الإضطهاد عن المسيحيين في تلك الفترة الصعبة!

وفي مرة أخـري طرَد أحد الولاة كل صـيارفة مصـر، وكـانت غالبيتهم من «الأقبـاط» ولدَهشته إكتشَف أن إيرادات البلاد من لضرائب قد قلّت بشكل ملحوظ في تلك السنة بالذات! فاضطر

إلي إعادة الصَيارفة الأقباط إلي أعمالهم.ولا يزالون أمناء علي المال العام.

ولا شك أن أعمال الإنسان **مرآة واضحة** لإيمانه الحَقيقي، أمام غير المؤمنين. فقد قال الرسول يعقوب «أرني إيمانك بدون أعمالك، **وانا اريك بأعمالي إيماني**» (يع ٢ :١٨) وليتنَا **تقدّم المسيح** للناس مع سلوك طَيّب، وعمل صالح يَليق بنا كأولاده.

وقد سَأل راهب الأنبا سيصُوي الصعيدي: «قل لي كلمة مَنفعة يا أبي». فأجابه القديس: «لماذا تَطلب كَلاماً! إصنع مِثلما تَري»!

وسأل أحدهم الأنبا بيمن: «ماذا أعمل مع إبني؟» فقال له القدّيس: «إذا كُنت تَرغب أن تكون ذا منفعة له، **إعطِه مِثالاً عن طريق الأفعال**، وليس عن طريق الأقوال، لئلا بملاحظته الأقوال فقط يكون عَديم النَفع، أما إذا أعطيته مِثالاً عن طريق الأعمال، فستمكث (الأعمال) طويلاً معه وسينتفَع».

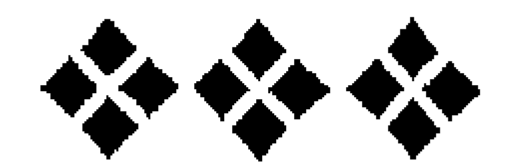
وقال الأنبا أنطونيوس: «إشتغل بكل قُوّتك ليتمجّد أبوك

الذي في السَمـوات». وقـال مـوسي الأسـود: «البَطالة مـوت، وسَقطة للنَفس، ولا شك أن «الفَراغ» يقـود لعـثـرات كـثـيـرة وخطيرة!!

هذا وقـد تضـمَّنت نصائح الرسـول بولس لتلمـيـذه الأسـقف تيطس قـوله «مُقـدَمـاً نفَسك فـي كل شيء قُدوة للأعـمـال الحَسنة وكلاماً صحيـحاً غير مَلوم، لكي يخزي المُعانِد، إذ ليس له شيء رَديء يقوله عليكم». (تي ٢: ٧ ـ ٨)

وفي أثَنا ء الحَرب بين أرمينيا وتركيا، قبض جندي تركي علي فتاة أرمينية وأخيها. وقتَل الجُندي القاسي هذا الشاب المسيحى، أما الفتاة فقد أستطاعت الهَرب؟! وبعد فترة أُصيب هذا الجُندي ونُقلَ للمستـشـفى الأرمني، في الوقت الذي تطوّعت فيـه الفـتـاة للخدمة بنفس المستشفي، والتقَت الفتاة بقاتل أخيـهـا، وعرفَتـه دون أن يَعرفـهـا، وظلَّت تسّهر علي راحتـه إلي أن تماثل للشفاء، ولكن أكتشف شخصيتها ومقدار ما فعلته به، من رحمة وحنان تعجَّب جداً كيف أنها لم تنتقم منه ثاراً لأخيها أو حتي تُهمله في مرضـه، ثم سألهـا عن دينهـا، فـقـالت أنهـا «مـسـيـحـيـة» فـآمن الشاب بإلهها. لأنها قدَّمته له في عملها المُبارك هذا، مُقتدية -

في ذلك - بأولاد الله القديسين، الذين أحبّوا أعداءهم وباركوا لاعنيهم، وأحسنوا إلي المسيئين إليهم، تنفيذاً لوَصية الرَب» (مت ٥ : ٤٤).



٣ـ قُدوة في السلوك الإيجابي:

إتصّف المَسيحيون الأوائل بصفات جميلة كالمحبة والتواضع والرَحمة والإحتمال والقداسة... الخ وظهرت فضائلهم في سلوكهم العَملى والمثَالي أمـــام الوثنيين. وعن طريق هذه القُدوة دخَل كثيرون إلي الإيمان بما شاهدُوه عن أولاد الله من سلوك فاضِل، سواء داخل السجون، أو في المنَفي بالواحات،أو أماكن التعذّيب.

وهكذا لم تنتشَر المسيحية بالعُنف وإنما بالحُب واللُطف لجميع الناس، وخاصة الأشرار منهم، طبقاً لقول الرسول بولس: «إسلكوا كما يحق للدّعوة التي دعيتم بها بكل تواضع ووداعة وبطول اناة» (أف ٤ : ١).

وقد ورَد في بستان الرهبان قصة، مُوجزَها أن كاهناً للأوثان إلتقي في طريقه براهب شاب. فوبّخه الراهب المُبتديء علي عبادته للأحجار الصمّاء، التي لا تنفع ولا تَضر، ولا تسمع، وفيما هو سائر إلتَقي بعد ذلك بالقديس مكاريوس الكبير، فبادَره القديس بتحية جميلة (رغم معرفتَه بعبادته الفاسدة)! فتأثر الكاهِن بمَسلك القديس، وآمن علي يديه بالمسيحية التي لمسها في سلوكه الجَميل!

ومما كان ذائعاً أيضاً - في عصور المسيحية الأولي أنه عندما كان أي وثني يُقابل زَميلاً له، ويَراه مُبتسماً - علي غير عادته، كان الصَديق الوثني يتسَاءل بسرعة. عمَّا إذا كان صديقه هذا قد تلاقي فعلاً مع مسيحي في صباح اليوم عينه، فأعطاه من بهاء نوره، ونال من بشره وفرحَه!

وقد رسَخت - بعض الخلال الحَميدة في مَسلك الأقباط عَبر التاريخ الطويل، كالأمانة والوداعة ، وطول الأناة، والمحبة، والوفاء، والصدق والتسامح والإخلاص وغيرها.

حتي أن البعض من غير المسيحيين لا يزالون يتَعجبُّون - ولهم الحق - عندما يسمعون عن مَسيحي شاَذ، عن بقية النصاري، بسُمعَته الرَديئة، أو لأنه إرتكب جريمة (تنشرّها الصُحف المحلية) ويرددُون - في مسامع زملائهم المَسيحيين - إن هذا الشخص المُنحرف «ليس منهم» لأن أولئك يَعرفون أن الأقباط لا يَسلكون مِثل هذا السلِوك الشائن أبداً!

وقد أخطَأ تلميذ في مدرسة. مع زميل له، فدعاه ناظر المدرسة، وأخبره بأنه لم يَرَ مسيحياً شريراً، طوال حياته، فتبكَّت وتاب، وصار قدوة من جديد.

ويقول ذهبي الفم: «إن المسيحي هدفه أن يكون **رسالة يسوع المقروءة من جميع الناس. ورائحته الذكية التي تجذبهم** نحو المسيح، فمن لا يجمّع معه فهو يُفرق. والغضوب إنسان **لا يستطيع ان يشهد ليسوع الوديع**، طويل الأناة، الذي يغفر بلا حدود». وقال الرسول بولس: «ليكن حُلمَكم مَعروفاً عند جميع الناس» (فيلبي ٤:٥).

ويقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيّات «لا السماء ولا النهار ولا الليل تُمجّد الله، كما تُمجدهُ النفس القديسة: فكما إنه إذا تأمل إنسان زينة السماء يقول: «المَجد لك يارب فيما صنعت» وهكذا إذا ما رأي الفضيلة في إنسان يُمجدُ الله بالحَري... ومَن الذي لا ينذهل عندما يري إنساناً يُشاركه في الطبيعة البَشرية، لكنه يتصرّف بين الناس كالماس، أي ما يميل قط نحو الشهوات، لأنه أشد صلابة من حجر الماس، وإذا وُجد بين النار أو الحديد والوحوش يغلبَهم بحُسن العبادة، إذا شُتم يُبارك، وإذا قالوا عنه شيء رديء، مدحَهم، وإن أسَاء إليه أحد، صلّى من أجل الذي يَضطهده... هذه وأمثالها تُمجّد الله. أكثر مما في السَموات».

ويُضيف القديس بقوله: «**فلنقتودهم بسلوكنا**. فإن كثيرين من العَوام أدهشَوا عقول الفلاسفة فإذا أوضحوا **فلسفة الأعمال وسيَرتهم وفضيلتهم** أظهروا صَوتاً يفوق هَتاف البَوق، وأوفر بلاغة من اللسَان».

والمثال العملي هو الذي قدَّمته القديسة «كاترين» عندما تكلمت في مَحضر الإمبراطور الروماني الزائر بالإسكندرية فجذَبت الفلاسفة إلي المسيحية! والقديسة دميانة التي كانت باحتمالها للعذابات في المرات الأربعة - تكسب في كل مرة - نحو مائة من الوثنيين، يؤمنون بإلهها ويستشهدون علي إسمه، حتي بلغ من سبقوها إلي السماء، أربعمائة شَهيد علاوة علي العَذاري اللواتي كُن معها. كما آمنت «يوليانه» بإله «بربارة»، ونالت معها إكليل الشهادة، بعدما رأتها تشَهد للمسيح بشجاعة في سجنها وأمام الوالي.

وقد حثَّ الرَسول بُطرس المؤمنين علي السلوك الفاضل أمام أهل العالَم الحاضر، فقال «يجب أن تكونوا في **سيرة مقدسة وتقوي**» (٢ بط ٣: ١١).

ويضيف بقوله: «وأن **تكون سيرتكم** - بين الأمم حَسنة، لكي يكون في ما يفترون عليكم - كفاعلي شر - يُمجدُّون اللّه في

يوم الإفتقاد **من اجل اعمالكم الحَسنة التي يلاحظونها»** (١ بط ١٢:٢). ويضيف بقوله: «لكي يكون الذين يَشتمون سيرتكم الصَالحة - في المسيح - يُخزَوْن في ما يفترون عليكم، كفاعلى شر» (١ بط ٣:١٦).

ونفس النصيحة قدّمها الرسول بولس فقال: **«إسلكوا كأولاد نور»** (أف ٥:٨) وقال أيضاً «إمتحنوا كل شيء، تمسَّكوا بالحسَن، **أمتنعوا عن كل شِبه شرّ»** (١ تس ٥: ٢١، ٢٢) «مُعتنين بأمور حسنة ليس قُدّام الرّب فقط، **بل قدّام الناس ايضاً»** (٢ كو ٨:٢١).

وقال الرسول أيضاً: «لتكن سِيرتَكم خالية من محبة المال» (عب ١٣:٢٥) وفي موضع آخر قال «أنظروا كيف تسلكُون بتدقيق... ولا تسكَروا بالخمر، الذي فيه **الخلاعة**، بل إمتلئوا بالروح» (أف ٥: ١٥ - ١٨).

وكتَب رسول الجهاد، حاثاً مُؤمني كورنثوس علي أن يكونوا أناجيل مُتحركة: «أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا، **معروفة ومقرءوة من جميع الناس**، ظاهرين أنكم رسالة المسيح» (٢ كو ٣: ٢ - ٣).

وامتدح مَسيحيي أفسس، مخاطباً إياهم: «أنا أيضاً قد **سمعت بإيمانكم** بالرب يسوع، **ومحبتكم** نحو جميع القدّيسين» (أف ١:١٥).

ويتحدّث الرسول يوحنا الحبيب - في رسالته الثالثة - عن شخصيتين **كانتا قدوة صالحة للكنيسة** الجامعة، وهما الشيخ غايس وديمتريوس اللذان: «**شهد جميع الاخوة** بمحبتهما» (٣ يو ٦:١٢) أما الشخص الثالث المدعو تريفُوس - فلم يكن كذلك، إذ يقول عنه الانجيلي: «إنه يحب أن يكون الأول في الكنيسة، ودَفعه مَسلكه هذا إلي التَفوّه بكلمات لا تُمجّد الله» (٣ يو ٩:١٠)

ويذكُر الكتاب: «إن السيَر العطرة (تكون) سبباً في تمجيد إسم الله ومدح الفضيلة» (حكمة ٤:٣) ومصَداقاً لهذا القول الإلهي، نذكر قصة مشهورة موجَزها أن إحدي الجامعات اليابانية، استدعت

أستاذاً أوروبياً، واشترطت عليه الا يتحدث مع الطلبة عن إيمانه المسيحي أبداً.

ولكن سُرعان ما آمن - بعقيدته عدد كبير من الطُلاب اليابانيين ولما استدعته الجامعة، لسؤاله عن مُخالفته لشروط التَعاقد، أخبرهم بأنه لم يَنطق بكلمة واحدة عن المَسيح!! وقد أثبَت التحقيق أن الأستاذ كان صادقاً فيما قاله، اذ كان «إنجيلا صامتاً مُقدماً شخَص الرب يسوع - إلي الطُلاب - بسلوكه المسيحي المثالي، مما دعا الكثير من الطلبة إلى السؤال عن ديانته وكتابها المقدس، فقرأوه وآمنوا بها، دون كِرازة منه!

ونحن مُطالبون اليوم أن نعيش مسيحيتنا في داخل المجتمع، وأن نأتي للكنيسة لا لمُجرد الاستماع فقط، بل لنأخذ من التعاليم المُباركة ما نتعامل به خارجها، فنُقدّم الإنجيل الحيّ للناس، ويكون سلوكنا هو نفس سلوك المسيح الساكن فينا، ولا يتذّرع شخص ما بأن المُجتمع الحاضر مليء بالخطية، وقد قلْت

فيه الأمانة، وإنقرض الإهتمام بالقيم الروحية «وكيف أفعل في وسط هذا الطوفان الكبير من البشر البعيدين عن الله؟!» وأنه «يَنبغي أن أجارى زُملائى في سلوكهم»، «وأعيش في الجو، كبقية الذين حولي، وأن السلوك القويم لأبُد أن يُقابل بالمتاعب من الأشرار!»

وغير ذلك من التبرِّيرات التي قد يَسوقها البعض للإبتعاد عن القُدوة الصالحة والسلوك المسيحي السَليم، ولكننا نؤمن بالحكمة التي تقول: «إن أردت أن تُصْلِح العالَم، فأبدأ بنفَسك».

وقد قدَّم لنا الرب يسوع أمثلة واقعية علي إمكانية إصلاح العالَم بقدوتنا الصالحة، فتحدَّث عن «الملح» الذي يكفي القليل منه، لإعطاء الطعام مُذاقاً مقبولاً، والمصباح الصغير الذي يُبدد الظلَمة الكبيرة، والخَميرة الصغيرة التي تُخمرّ أكيال عديدة من الدقيق، وتَغير طبيعته، وليس العَكس .

وبنفس القياس، فإن لنا دورَنا القَويم، وإن بدأ صغيراً، فإنه

علي المَدي البعيد، سيترك أثره الواضح. فمن تَمسك بالأمانة وسَط الأشرار وعَاني منهم المرارطويلاً، لابُد أن تظهر أعماله الصالحة يوماً ما، وتنكشف حيَل الأشرار، وينال كل واحد حَسب عمله!

وإذا كان الإنسان بطبيعته مَيّالاً إلي التقليد والمُحاكاة، فإن الطفل أكثر تقليداً من الكبار، ومن هنا تبدو أهمية القُدوة الصالحة أو الطالحة في مُحيط البيت والمدرسة.

وتضُم كُتب التاريخ الكنسي أمثلة جميلة جداً لامهات مثاليات أخرجَن قديسات وقدّيسين خدّموا الكنيسة. وأنتفع كثيرون بسلوكهم المُبآرك، ومن أمثال هؤلاء قزمان ودميان وإخوتهم وأمهم، وعائلة القديس باسيليوس الكبير وغيرهم.

وقال الرسول بولس مُخاطباً تلميذه تيموثاوس «اتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن اولا في جدتك لوئيس، وأمك إفنيكي، ولكني مُوقن أنه فيك أيضاً» (٢ تي ١:٥)

ومن الأمثلة الحَية أيضاً. القديسة «مُونيكا أم أغسطينوس» التي أخبرنا عنها في اعترافاته، وقال (وهو يخاطب الرَب): «أمي كانت مؤمنة بك وممتلئة من الروح القدس، فأدركت خَطر المَوت (الهلاك الأبدي) الذي كنت أنا مُتمسكاً به. لقد زادَت في إلحاحها علي ذلك الأسقف (القديس إمبروسيُوس، أسقف ميلانو) بتوسَلات ودموع كثيرة، لعلّه يَراني، ويتحدّث معي، حتي إذا ما أزعّجته لجاجَتها أجابها «إنه لن يُمكن أن يهَلك إبن هذه الدموع» أية أجابة مِثل هذه حصلَت عليها أمي؟! لقد ذكرتّها مراراً في حديثها معي».

وقال ذهبي الفم: «قول الرسول (بولس) بأن تعظ العَجائز الحدَثات الرجَال الشباب لكي يتعَقلوا ليكن الجميع (شُباناً وشابات) مَدرسة ونموذج عام للفضيلة، فضياء سيرتك موضوع امام الجميع في الوسط، كمنظر أو كصورة تحوي كل جمال، يأخذ منها بسهولة من يُريد نماذجاً للأمور الصالحة».

وقال القديس إيرونيموس (چيروم) ناصحا اماً من أجل إبنتها: «إجعليها تقتدي بمريم (العذراء) التي وجَدها جبرائيل الملاك وحدها، في غرفتها فإضطربت إذ نظرت رجلاً في حجرتها، أتركيها تُقلد تلك التي قيّل عنها «مَجد (زينة) إبنة الملك من داخل فقط» (مز ٤٥:١٣). كوني مَدرسة لها ونموذجاً لما تريدين أن تكوني عليه. لا تفعلي أنتِ - أو والدها-شيئاً ما إذا قلدُتكما فيه تكون قد إرتكبت خَطية، تذكّرا إنكما والديّ عذراء، وبسيرتكما تَعلمأنها، أكثر مما تُعلمانها بوصاياكما، ولتختار لنفسها مُعلمات فُضلّيات، لهَن الإيمان والشخصية القوية والعَفة، فيُعلّمن إياها بالكلام، كما بالقدوة».

وقد حثّ الرسول بطرس النساء علي السلوك بقدُوة صالحة، ليَكُنّ - بذلك - سَبباً في جَذب أزواجهن إلي حياة التوبة والقداسة: «وإن كان البعض (من الأزواج) لا يُطيعون الكلمة

(الوَعظ) يُربَحون بسيرة النساء بدون كلمة، ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف، ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضَفر الشَعر والتحلّي بالذهب، ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفي، في العَديمة الفساد، زينة الروح الهادىء الوديع، الذي هو قُدّام اللّه كثير الثمن، فإنه هكذا كانت قديماً النساء القدّيسات أيضاً يُزّين أنفسَهن» (١ بط ٣: ١ ـ ٥) وأكّد الرسول بولس علي ضرورة أن تكون النسوة المُتقدمات في السَن، قُدْوة للشابات الصغيرات: «كذلك العَجائز في سِيرة تليق بالقَداسة» (تي ٢: ٣)

وقد قَص علينا أحد الأباء الأساقفة المُباركين أنه ذهب لكي يُعزّي سيدة علي إنتقال وحيدها. فوجدها في تعزية لست بقليلة. وقبل أن ينصرف طلبت منه العجوز أن يُصلي لها. ولما سألها عن صلواتها الحقيقية (اليومية) قالت إن صلواتها اليومية، تشمل صلاة الساعات (الأجبية) ثم التسبحة الكاملة

بالأبصلمودية، ثم قراءة القَطمارس (أي كل القراءات الكَنسية) ثم السنكسار (سيرة قدّيسي اليوم). ثم تركع أمام عرش النعمة، مُقدّمة المطانيات الكثيرة طلباً للرحمة. وشكراً لله علي عَطاياه!! فلما إستمع الأب الأسقف الي بيان بصلواتها اليومية هذه، طلب منها أن تُصلي هي من أجله. ومن الجدير بالذكر، أن هذه الكُتب الكنسيّة كانت تُرسل إلي عهدٍ قريب مع جهاز العروس المسيحية لتُصلي بها - في بيتها - مع شريكها، ومع ما يرزقها الله من أبناء. فكانت تلك البيوت بركَة، كما ينبغي أن تكون هدايانا للعروسين من الكتب المُقدسة، ومن سير القديسين، وصورهم. وكل ما ينفع حياة الزوجين في النواحي الروحية، ويَغرس في النفوس حُب الله القدوس، وحُب التقوي والفضيلة.

+ + +

نماذج عملية من قدوة القديسين

الإنسان الذي يريد أن يأخذ القدوة العملية يأخذها من الرب يسوع، ومن العذراء أم النور، ومن الرسل والشهداء، ومن القديسين القُدامي والمعاصرين،ونذكر بعض أمثلة عملية للقدوة - في الفضائل المختلفة - لتكون مجالاً للتأمُّل والتقليد المُفيد (بدلاً من تقليد أهل العالم المعثرين):-

(١) ومن تلك السِيَّر العملية القديس العظيم «أنبا أنطونيوس» الذي أعطاه الله حكمة وطاعة لكلمة الله، وفهم جيد للحياة. فقد قام بتوزيع كل ميراثه (٣٠٠ فدان) عي الفقراء والمحتاجين، وعاش في وحدة علي شاطيء النيل، وفي أول اختبار شيطاني له، نزلت سيدة إعرابية - مع جواريها - لتستحم في النهر أمامه، ولم تخجل منه، ولما تساءل القديس: «أما تستحين مني وأنا رجل راهب (مُتوحد) ؟!» قامت بتوبيخه، موضحة أن سُكنى المتوحدين في البرية الداخلية.

فاعتبر القديس هذا الكلام كأنه مرسل له من الله، وعاش وحده في الصحراء الشرقية - في مقبرة - لمدة عشرين سنة، إلى أن جذبت سيرته وقدوته العديد من الرهبان إلي حياة التكريس

الكامل، وتخصيص كل الوقت لحب الرب وعبادته حتي آخر عمره.

٢) وقد سمع القديس أنطونيوس - صوت الرب - بأنه لم يبلغ في روحانيته ما بلغ اليه «خياط» بالإسكندرية!! وبروح الإتضاع مضي إليه القديس، وعرف منه أنه كان يقوم مُبكراً ويشكر اللّه، ويضع خطاياه أمام عينيه ويخاطب ذاته قائلاً: «إن كل الناس يذهبون الي الملكوت - لأعمالهم الصالحة - وأما أنا فأستحق العقاب علي خطاياي»!! وكان يكرر نفس الكلام قبل النوم. فما أجمل السلوك باتضاع عملي، وإنسحاق للنفس، والشعور بالضعف، والحاجة لمعونة اللّه وطلب رحمته دائماً.

٣) وكان تلميذه القديس الأنبا «بولا البسيط» نقي القلب، وغير منتقم لشرفه!! بل ترك الأمر للدّيان، إذا كان قبل ذهابه لقلاية الأنبا أنطونيوس، تزوج بفتاة صغيرة السن، بعد نياحة زوجته الأولي. وذات مرة إكتشف خيانتها له مع خادمه، فلم ينتقم منهما، بل مضي للبّرية، تاركاً كل ثروته.وجاهد بشدة من أجل خلاص نفسه، رغم أنه بدأ رهبنته في سن متأخرة.

٤) وقد سلك القديس «انبا بولا» أول السياح، مسلكاً حكيماً،

إذ عندما كان شاباً، أراد زوج أخته أن يغتصب أملاك والديه، وفيما هما ماضيان معاً إلي عمدة القرية، رأي پولا الشاب ميتاً غنياً، محمولاً علي الأعناق، فأعطاه الله حكمة، فترك لقريبه كل ثروته، ومضي الي جبال البحر الأحمر حيث عاش نحو تسعين عاماً مع الله، في سعادة دائمة وكان يقتات علي نصف خبزه فقط،"لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» (مت٤:٤).

٥) وقد سلك **القديس مكاريوس الكبير** بروح الإتضاع، حينما إتهمّه الأشرار ظلماً، وثبتت براءته، فهرب من المجد الباطل، عندما أرادوا الإعتذار له، عن إيذائهم له ظلماً. وعاش مع الله في البرية (بوادي النطرون) وقد كان قلبه مليئاً بالحب العملي - مثل فاديه - علي الخُطاة، ولم يُدِنْ أحد الرُهبان عندما دخلت عنده سيدة وأكتشفها الرهبان، فجلس علي «ماجور» وأخفاها تحته، فلما دخل الرهبان لم يجدوها، ولم يوبخه!!

بل في حنان أمسك بيد الأخ المسكين، وقال له «إحكم يا أخي علي نفسك، قبل أن يحكموا عليك». فرجع الخاطيء إلي نفسه، وأستيقظ ضميره، وجاهد مع النعمة، حتي إنتصر علي الشر (فالمتضع لا يجرح ولا يفضح).

٦) وكان الشابان «مكسيموس ودومادیوس» قد هربا سراً من ترف القصر الملكي البيزنطي، ومضيًا الي سوريا ، حيث عاشا مع الله، ستة أعوام، ثم مضيا الي القديس مكاريوس الكبير، الذي شهد عن صمتهما وزهدهما وسهرهما في العبادة، حتي تنيحًا بسلام، بعض رفض كل محبة العالم الفاني.

٧) وقدّم سكان مدينة إسنا المسيحيون المحُبّون للمسيح طعاماً للجنود الرومان الموجودين في معسكر قريب منهم، رغم أنهم جاءوا لأذيتهم. وكان من بين هؤلاء الجنود الغلاظ شاب مصري وثني مُجنَّد يُدعي «باخوميوس» (= النسر). وقد إعترته الدهشة من جراء تصرفهم الإيجابي العظيم. وسأل عنهم، فعرف أنهم مسيحيون، فأشتاق أن يُقلدّهم في قدوتهم العملية، وحقق له الله أمله الروحي العظيم.

إذ لما تم تسريحه من الجيش الروماني، عرف طريقه للمسيح، وتتلمذ علي يدّي القديس «بلامون». ولما ترهب أنشأ أديرة كثيرة، ووضع لها القوانين، وكسب آلاف النفوس للمسيح، وذلك كله كان بسبب قدوة أهل إسنا المؤمنين المحبين للأعداء، حسب وصية الرب.

٨) وموسي الأسود الشقي الرهيب، الذي ملّ من كثرة الشر والإجرام، وتاب فعلاً عن كل فساده، وتدّرب علي الطاعة والإتضاع والمحبة والاحتمال، وجاهد جهاداً مستميتاً ضد حروب الشهوة، بالصوم والصلاة والنُسك، ونما في المحبة العملية، ونجح في امتحان «الإتضاع» حتي أُختير كاهناً، ومرشداً روحياً للعديد من الرهبان. وله كلمات روحية حكيمة كثيرة، أمدّه بها الروح القدس.

٩) والقديس أنبا «بيشوي» - حبيب مُخلّصنا الصالح - كان يربط خصلة شعره في سلسلة حديدية بقلايته، حتي يغالب النعاس، ويقضي الليل كله في الصلاة، ولقاء حبيبه يسوع.

١٠) وقد صار القديس «يوحنا القصير» مثالاً عظيماً في الطاعة والوداعة. فقد أمره مُعلّمه القديس «انبا بموا» بأن يمضي الي الصحراء، ويزرع غُصناً جافاً (عصاً). وظل يتعهده بالري، من مياه بعيدة جداً- لمدة ثلاثة سنوات - حتي إخضّر وأثمر.كما طلب منه مُعلمه،أن يأتي له «بضبعة» فأتي بها فعلاً!! لكن معلمه أراد أن يحفظه من داء الكبرياء، فصرخ فيه قائلاً: «أنا طلّبت منك أن تُحضر لي ضبعة فأتيّت بكلب»؟! وللوقت حلّها القديس من قيدها، وأطلقها إلي مكانها!

كما صبر القديس يوحنا القصير علي خدمة مُعلمه الشيخ، الذي رقد في مرض دام إثنتّي عشرة سنة، وكان يغسل له ملابسه ويمسح بصاقه، دون أن يسمع كلمة مديح - أو شكر - من معلمه، إلي أن إقتربت ساعة نياحته فقال للإخوة إنه «ملاك» (وهو درس لكل نفس)

(١١) كما إمتاز القديس «انبا بيمين» بالسلوك بحنان، ورحمة مُتناهية علي الخُطاة. وقد سأله أحد الإخوة: «ماذا تفعل مع أخ نائم في الكنيسة؟! فأخبره القديس - في حنانه - بأنه يُوسع له المكان، ويضع رأسه علي ركبتيه ليستريح!!

١٢) وقد أمتاز كل من القديسين «اغاثون وارسانيوس» (مُعلم أولاد الملوك)، بالسلوك في حياة الصمت. وتدريب اللسان علي الكلام الجيد فقط، وقال كل منهما: «كثيراً ما تكلمت فندمت، وأما عن السكوت فلم أندم قط».وهما قُدوة لحياة «الصمت» وهو كمثال لكل الأجيال في هذا المجال.

كما كان أيضاً طويل البال، مضحياً بكل مال، في سبيل خلاص نفسه وغيره. فقد سار مع أحد العمال ليبيع ثمار الخيار في السوق، ولما ثار الجمّال، ترك له القديس «الجمل بما حَمل»، لينجو بنفسه من خطية الغضب، وصار مضرب الأمثال الي الآن.

١٣) وامتاز القديس «أنبا إبرآم» أسقف الفيوم والجيزة، بفضيلة الكرم الزائد عن الحد، والعطاء بسخاء. وعاني في سبيل هذه الفضيلة كثيراً، ولكنه صمد وإنتصر علي حروب عدو الخير، واستمر في عادته المباركة حتي ساعة نياحته. وكان يُردِّد ببساطة قلب عبارة جميلة قائلاً: «لا حُوزنا ولا عُوزنا».

١٤) وتذكر سيرة القديسة «مارينا الراهبة» أنها عاشت مع والدها في دير للرجال، وبعد نياحته عاشت بمفردها (كرجُل)، ولما أُتهِمَت ظُلماً، تم طردها خارج الدير، وأتوا لها بالطفل المولود سفاحاً، فربته حتي كبر وترهّب، وكانت تتحمل هذا الظلم الصارخ والشديد دون أن تتضايق بل تصبر وتشكر، الي أن يدافع الرب عنها ويُنصفها في الدنيا، أو تنال جزاءها الكامل في الأبدية. وما أعظمه من جزاء في السماء!!

١٥) ورَوي بستان الرهبان عن قديس حكيم، سرق أحدهم كتابه المقدس (المخطوط)، ومضي به ليبيعه. وعرضه علي أحد الإخوة. فطلب منه المشتري أن يتركه عنده حتي يُثمنّه، ولا يظلمه. وتصادف أن مضي وعرضَه علي صاحبه.فطلب أن يشتريه بمبلغ كبير جداً، ووافق المشتري علي رأيه!!

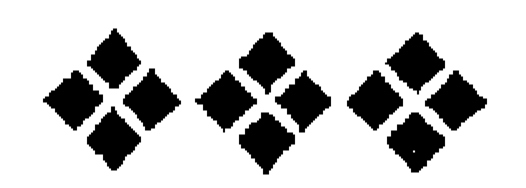
ولما جاء اللص يطلب الثمن، سأله عن الأشخاص الذي عرض المشتري الكتاب عليهم، فأعلمه بأنه الاخ «فلان» فقط!! وخاف اللص من إفتضاح أمره. وسأله إن كان قد أشار إلي شيء!! فقال أنه أخبره بأنه كتاب ثمين، وينبغي أن يشتريه.. فبكّته ضميره، وأخذ الكتاب المسروق ومضي به الي صاحبه المحب، الذي رفض أن يأخذه منه، معتبراً إياه «هدية له». فتاب اللص، وتتلّمذ علي يديه، كمثال للتضحية بالفلوس في سبيل ربح النفوس!!

١٦) وجاء في البستان أيضاً أن لصوصاً ذهبوا ليسرقوا قلالي الرهبان. ودخلوا قلاية أحدهم، وحملوا ما بها من أشياء بسيطة، وأراد الرب أن يعطيهم درساً عملياً من قدوة صاحبها، فقد تمرّدت الجمال، ولم تقم من مكانها. الي أن وصل صاحب القلاية!! فنظر إليهم القديس نظرة مملوءة شفقة، وحنان وحب عملي، وأعلن لهم بابتسامة جميلة أن جِمالهم لم تتحرك، لأن لهم هدية لديه!! وقد دخل بفرح وأعطي لهم زجاجة صغيرة بها قطرات زيت، كانت مدلاة بخيط علي مسمار، ولم يرها اللصوص بسبب الظلام، وقام يدعو لهم ويودعهم!!

أما هؤلاء فقد ذاب قلبهم القاسي أمام حرارة محبته، وقرروا جميعاً التخلّي عن السرقة والتوبة الصادقة، والترهبن والتتلمذ له، حتي خلّص الله نفوسهم، واستقامت سيرتهم.

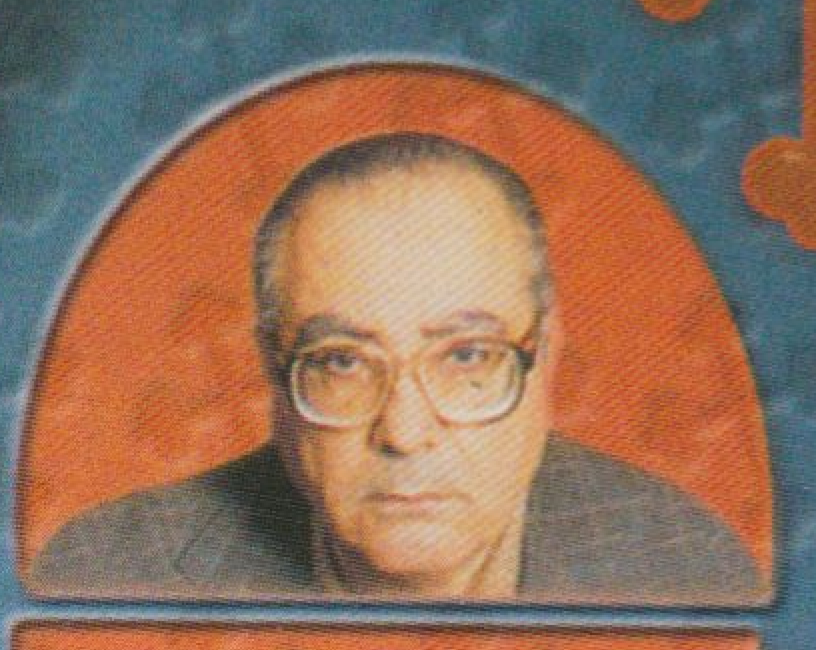
+++

الرب يُبارك هذه الكلمات، لينتفع بها الجميع «والقادر أن يحَفظكم غير عَاثرين، ويُوقفكم أمام مجده، بلا عيب في الإبتهاج، الإله الحكيم، الوحيدِ مُخلصنا، له المجد والعظمة والقُدرة والسلطان، الآن وكل أوان وإلي دهر الدهور آمين» (رسالة يهوذا ١ : ٢٤ - ٢٥).



تم بحمد الله

الفهرست



هذا الكتاب

يتضمن هذا الكتاب أول دراسة رائدة ومتكاملة عن موضوع العثرات الموجودة فى العالم وأسبابها، ونتائجها الخطيرة.
كما يشمل دراسة أخرى عن موضوع القدوة الصالحة ومجالاتها، وأهميتها ونتائجها، وكيفية الحياة بعيداً عن العثرات، والنمو فى حياة صالحة تُرضى الله والناس، وتحفظ النفس من عثرات العالم الحاضر الكثيرة.
وهو كتاب هام لكل أسرة، ولكل إنسان مسيحى، بصفة عامة.

الموسوعة القبطية الشاملة

٣

١ - عذارى حكيمات
٢ - رسالتان الى كل إنسان
الإنشغال بالله - أهرب لحياتك
٣ - هل أقترب موعد مجيئ المسيح ؟
درس لفلاحة النفس (مثل الزارع)
٤ - المسيح فى مصر
٥ - الزينة من مفهوم مسيحى
(أجمل هدية للخطيبة و...
٦ - الإيمان ...
(الحسد - الحظ - التشاؤم ...
٧ - هل تدخين السي...
٨ - العثرة والق...
من منظور مسيح...
٩ - دراستان ها...
الجدية فى الحياة ...
الربح والخسارة من منظ...
١٠- باقة من التعاليم ...
١١- الكاس ...
١٢- لماذا لا يستجيب ...
كيف تتحقق لنا ...
والرغبات والطلب...

مكتبة المحبة
٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر
تليفون وفاكس : ٢٥٧٧٧٤٤٨ - ٢٥٧٥٩٢٤٤ ت : ٢٥٧٥٨٢٦٢